

أيقظ شعورك



إبراهيم الشمالان

للتواصل مع الكاتب

ايميل

ibrahimalshamlan@gmail.com

[facebook.com/ibrahimshamlan](https://www.facebook.com/ibrahimshamlan)

twitter.com/ibrahim_shamlan

Instagram : [i_89sh](https://www.instagram.com/i_89sh)

مقدمة ..

لا تندم على لحظة الحب وإن انتهت بالخذلان , إن دقيقة واحدة من الحب أعظم بكثيرٍ من ساعات الألم والحسرة ..

أكثر ما نكتبه في دفاتر حياتنا كان نتيجة الألم والمعاناة , نتيجة المأساة , غير أن علاقتنا مع الحياة ليست علاقة عقارية , إننا نحمل الكثير من المشاعر والأحاسيس , وإن كانت نائمة لفترة طويلة لكنها يوماً ستستيقظ لأن كل عاطفة هي بمثابة المنبّه لقلوبنا , الحزن والفرح والبغض واليأس ...

إن شعورنا بالمحبة يعود إلى طبيعتنا البشرية وإن تعذبنا مراراً تحت أغصان الحب فذلك أفضل من الحرمان فنكون كالدمى بلا أرواح ..

وكما قيل :

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا ..

لولا الشعور الناس كانوا كالدمى

ارْكُضْ بِرِجْلِكَ

"أَمَرَ بِالرَّكْضِ بِالرِّجْلِ لِيَتَنَاطَرَ عَنْهُ كُلُّ دَاءٍ فِي جَسَدِهِ" تفسير القرطبي

نموتُ في الحياةِ كثيراً ونصلُ إلى الشَّهَةِ الأخيرةِ مرَّاراً، وبِيدِ اللُّطْفِ نَتَجَاوَزُ الموتَ ونُكْمِلُ المَسِيرَ، وبعَدَ هذهِ المِيتَاتِ المُتَكَرِّرَةِ إِنْثَرِ سُقُوطِنَا فِي حُفْرَةٍ مُظْلِمَةٍ نَعُودُ إِلَى الحَيَاةِ وَظَنْنَا الخُرُوجَ مِنْ أزمَاتِهَا، وَادَّعَيْنَا السَّعَادَةَ بَوَجْهِهِ مِنَ الوُجُوهِ المُزَيَّفَةِ الكَثِيرَةِ المُنتَشِرَةِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، وَلَمَّا نَعَلِمُ أَنَّنَا فَقَدْنَا الإِحْسَاسَ بِالأَشْيَاءِ مِنْ حَوْلِنَا .

" قَبْلَ وِلادَتِكَ لَمْ يَكُنْ وَالِدًا شَخْصِينَ مُمَلِّينَ كَمَا تَنْظُنُّ الْآنَ؛ لَقَدْ أَصْبَحًا كَذَلِكَ بِسَبَبِ تَكاليفِ دِراسَتِكَ، وارتفاعِ ثَمَنِ مَلابِسِكَ الجميلة، والنظرِ إِلَيْكَ و أنتَ تَكْبُرُ يَوْمًا بَعْدَ يَوْمٍ. لذلكِ وَقَبْلَ أَنْ تَتَشَرَّعَ بِتَغْيِيرِ الْعَالَمِ وِإنقاذِ الغاباتِ الاستوائيةِ مِنَ الدَّمَارِ، ابدأ أَوَّلًا بِترتيبِ دُولابِكَ وِتنظيفِ غُرفَتِكَ "

(بيل جيتس)

نحن أموات في الواقع ..

تَقُولُ سوزان آرتر :

" المضحك أن الملايين ممن يشتهون الخلود، لا يجدون ما يفعلونه في أوقات فراغهم".

فبالقسوة يموت القلب ، وتنشف العيون عن ذرف الدموع؛ فقد استنفدت مخزونها منها، وتصبح الأذن لا تستلذ بالأصوات، أما الجوارح فمعطلة، والقصص بأسرها مبهمة...!!

وحين نُصيِّبنا مثل هذه العلل التي تتركنا أحياء وأموات بآنٍ واحد؛ ليس أمامنا إلا أن نردّد كلمة :

(ارْكُضْ بِرِجْلِكَ)

الأمر العجيب هو رفضنا للموت ونفورنا من ذكره مقابل تشبّثنا بالحياة وطلب الخلود فيها رغم ما يصيبنا من الكآبة والملل والضجر وما شابه ذلك، وهنا تتجلّى الحيرة تجاه هذه الحياة في أوضح صورها؛ كيف نطلب المزيد من الوقت وليس بمقدورنا الابتسام ولو للحظات؟! فهذا هو الوقت الذي نطلبه حينئذٍ.

حتى الغريق الذي يختلطُ لعابه بماء البحر وتغرقُ رثته بالماء المالح لا يزال يرفع يديه ويدعو الله أن يهبه مزيداً من الوقت، فإذا أخرجه إلى البرِّ سالمًا معافىً لم يصنع بهذا الوقت الإضافي شيئاً يستحق من أجله العودة إلى الحياة من جديد، بل يغرّه طول الأمل فيتمادى في كفره وعصيانه!!.

لسنا على صلة جيدة بالواقع، ولسنا على وعي كافٍ في التعامل معه؛ فالآلام التي تملأ قلوبنا تجعلنا مُشتتتين ذهنياً، منقطعين عن الواقع الحقيقي، غارقين في لُجّة بحر من الزيف المظلم، قاطعين ساعات الليل والنهار المظلمين في هذا الواقع المزيف، منكمشين في كنف الوحشة والاختناق. أين نحن من وحشة يونس عليه السلام؟!، إذ بدّدها بتنزيهه الله عن العيوب فقال: (لا إله إلا أنت سبحانك ..)

إذ أدرك عاقبة المعصية ونتيجة الفرار الوخيمة.

ونحن في كل ساعة نفرُّ من أنفسنا، من الواقع المزيف، من كل شيء؛ ونحن نجهل أو نتجاهل طريق النجاة والخروج من هذه الحالة العصيبة؛ وهو الفرار إلى الله وحده؛ فكلنا يعلم أن لا ملجأ منه إلا إليه.

هكذا بدّد يونس وحشة بطن الحوت في ظلام الدنيا وغياب الليل والبحر، بدّدها بالتنزيه، فتلاشت هذه الظلمات المترابكة بالاعتراف

بأنك يا رب ملجؤنا وأنت رب الأرباب، وهذه الحقيقة التي يجب أن نصل إليها.

هل أدركت حدودَ مقدرتك ؟ ..

" هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِّن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِّن عِلْقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا " . (عافر: 67)

كلُّ أملٍ لنا في هذا الواقع هو أملٌ ضيقٌ لا يمكن أن يتسع من تلقاء نفسه، وأكثرنا يفجرُ أمامه ليقول أن الواقع يتحسن .

وكيف له أن يكون أفضل في ظل حياة تتسع في الحقيقة، لكنها لا تقدم لنا شيئاً. فقد نصحونا أن نثق بأنفسنا غير أنهم لم يرشدونا إلى أنّ الثقة منبعها حُسن الظن بالله أولاً. إنّ هذه الفكرة تقوم على أساسٍ واحد :

إننا في مرحلة من مراحل العمر لم نشكّ مطلقاً بل لم نفكر أبداً في هذه الحياة وما نريده منها، فكان الأمر من مبدعها وخالقها سبحانه وتعالى أن حققَ لنا الكثير من رغباتنا بأمر منه وكم يقال:

حتى التوفيق نعمة من نعم الله علينا؛ بل هي من أجلّ النعم وأعظمها...

وكما أنها تبكي على الصالحين وتحنُّ إلى بعض المؤمنين فإنها أيضا تخدم السائرين على الطريق الصحيح فيجعلها الله خادمة لهم تهب ثمرتها لهم وتحسن إليهم وتبكي عليهم إذا ما غادرت أرواحهم تربتها ..

وقد ذكر الطبريُّ رحمه الله تعالى في تفسيره سورة الدخان :

" أَنْ رجلاً أتى ابن عباس, فقال: أرأيت قول الله تبارك وتعالى: (فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ) فهل تبكي السماء والأرض على أحد؟ قال: نعم إنه ليس أحد من الخلائق إلا له باب في السماء منه ينزل رزقه, وفيه يصعد عمله, فإذا مات المؤمن فأغلق بابه من السماء الذي كان يصعد فيه عمله, وينزل منه رزقه, بكى عليه; وإذا فقدته مُصَلِّاه من الأرض التي كان يصلي فيها, ويذكر الله فيها بكت عليه, وإن قوم فرعون لم يكن لهم في الأرض آثار صالحة, ولم يكن يصعد إلى السماء منهم خير, قال: فلم تبك عليهم السماء والأرض ". انتهى كلامه رضي الله عنه .

فالسما والارض تبكيان على الرجل أو المرأة اللذين يتركان أثراً في هذه الحياة , أثراً صالحاً واضحاً يدلّ إليهما ..

لكننا في مرحلة من المراحل الأخرى وقد كبرت أحلامنا وازدحمت آمالنا, وصل بنا الحال إلى أن نسينا حدود قدرتنا فطلبنا من أنفسنا ما

لا ينبغي طلبه منها ثم ندّعي أننا مؤمنون بأن أرزاقنا بيد الله , وهل في الله شك !؟

فلا داعي إلى القول بذلك لأننا موقنون بأن هذه الحياة بمجملها وتفصيلها تحت أمر الله طوعاً فقد أتت السماء والأرض طائعتين له لكننا لضعف عقولنا اغتررنا بقدرة أنفسنا فتجاوزنا حدودها ليكلنا الله إلى أنفسنا شيئاً يسيراً، فنجد الأبواب مغلقة، وكيف تفتح الحياة أبوابها لأنفس بشرية ضعيفة تجاوزت حدودها !؟

فنحن موقنون بضعفنا مذكناً في أرحام أمهاتنا وفي المراحل المبكرة من نشأتنا، وما إن كبرنا قليلاً حتى بدأنا نشعر بالجرأة والكبرياء فأصبحنا نقول: نستطيع أن نفعل هذا وذلك. فنقوم بتلبية حاجاتنا من غير أن نفكر ولو للحظات بأن هذه القدرة قد وهبنا الله إياها فنحمده عليها، بل تعشش الغفلة في قلوبنا حتى يُخَيَّل إلينا أنّ ما نكسبه في الحياة هو من علمنا ومعرفتنا فنقع في الوهم...

فلا بد من الاستسلام طوعاً لقدرة الله تعالى وتقديره وقدره. بمعنى :

❖ لو كنت تواجه أزمت الحياة المتلاحقة ووصلت إلى ضعفك الحقيقي وأدركت أنّ الحياة لن تقدّم لك شيئاً يجعلك سعيداً، فعليك حينها أن تعود بنفسك إلى حدودها الحقيقية وهي الاستسلام لله ...

❖ لو كنتِ امرأة يائسة في حياتك التي تعيشينها التي هي أشبه بالجحيم البارد ووصلتِ الى حقيقة (إنك لا تهدي من أحببت) فعليك أن تعودى بنفسك إلى حدودها الحقيقية وهي الاستسلام لله ..

❖ وإن كنتِ شاباً لديك رغبات كثيرة وأمنيات متعددة وما استطعت في يوم تحقيق شيء منها فما عليك إلا أن تصل إلى تلك الدرجة من الاستسلام الحقيقي لله عز وجل ..

وباختصار كل ما علينا القيام به هو الوصول إلى الفهم الصحيح لقوله تعالى :

(وَضُنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ) ..

وقفة تأملية ...

" الجميع يفكر في تغيير العالم و لكن لا أحد يفكر في تغيير نفسه ".
(ليو تولستوي)

لكل واحد منا همومه وعالمه المليء بالغموم ولا أحد يشعر بآخر،
وليست هنا المشكلة وإنما تتجلى وتظهر حينما نُحرَم من وجود مَنْ
يشعر بنا ، حينها نغضب ونصيح بمن حولنا :

دعني ومشاعري ...

و حين لا نشعر بمن حولنا فنحن لا نشعر بأنفسنا ..

أين نحن ولماذا ؟

أسئلة ليست للوصول لغاية سيئة ولكننا نسينا فعلاً ما إذا كنا في
عالمنا الحقيقي بالفعل !!

لماذا لا نفهم حقيقة وجودنا؟؟ وإذا فهمنا تلك الحقيقة فلماذا لا نعمل
بها؟!!

فحين نقول للناس: إنَّ وجودنا كان لغايةٍ، يكون لكلِّ منهم مشرُّبه في فهم هذا الوجود حسب ما تُمليه عليه اعتقاداته رغم وضوح الحقيقة.

(لا تفكّر بالرزق واسعٍ إليه، لكن لا تنسَ أنَّ حياتك الهنيئة هي هناك حيث لا موتَ ولا شقاء، ابذلْ ما بوسعك للرجوع إليها؛ لأنَّ أبانا آدم كان فيها من قبل ولا بد أن نسعى للعودة إليها).

فالغاية التي خُلقت لأجلها هي أن تعبد مَنْ جعل لك ما في الأرض جميعاً وكرّمك. فإن كنت ترى أنك تعيش حياة الذل فليس ذلك إلا من البشر الذين من حولك ومن نفسك أيضاً التي ركنت إلى الذل وسارت على طريقه، فإله سبحانه لم يخلُقك لتكون ذليلاً للمخلوقات، ألم تقرأ قوله تعالى في سورة الإسراء؟ :

" وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِي آدَمَ وَحَمَلْنَاهُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى كَثِيرٍ مِمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلاً "

قال القرطبي في تفسيره هذه الآية :

"قال الضحاك : كَرَّمَهُم بالنطق والتميز .

قال عطاء : كَرَّمَهُم بتعديل القامة وامتدادها .

قال يمان : بحسن الصورة .

قال محمد بن كعب : بأن جعل محمداً - صلى الله عليه وسلم - منهم

وقيل: أكرم الرجال بالحي والنساء بالدواب .

وقال الطبري : بتسليطهم على سائر الخلق، وتسخير سائر الخلق

لهم ". اهـ.

لكننا مع هذه الكرامة لازال بعضنا يحبّ السقوط إلى المذات السفلية، فغرقتنا بالخطايا والآثام، حتى كانت هناك مجازر من ظلمنا أنفسنا، بلّغنا ظلمنا الناس وتحقيرهم واضطهادهم، وما إن يشعر بعض البشر بشيءٍ من القوة والقدرة حتى يسارعوا إلى الطغيان والظلم يميناً وشمالاً ...

ولأنّ الخطايا لا تنتهي منذ أن خُلِقَ آدم، كانت الحياة ولا زالت تزوّد ذاكرتنا بالقصص الوعظية التي من شأنها أن تقنعنا بضرورة مسح تلك الخطايا، والاجتهاد في استبدال كل نكته سوداء في قلوبنا بنكته بيضاء أوسع وأجمل، وحين تمتلئ قلوبنا بتلك المساحة البيضاء الكبيرة ستصبح لدينا القدرة على القراءة والفهم بالشكل المثالي المستقيم؛ وبالتالي ستحيا قلوبنا وتنتعش، حينها نقرأ:

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّمُنْتَوِسِّمِينَ)

فنتبت في هذه المساحة البيضاء شجرةً اليقين والاعتبار فنستظلّ بظلها ونرى الأشياء على حقيقتها، فلا يستطيع الزيف أن يستعبد هذه القلوب كما استعبد الكثير من قلوب البشر الذين يرون الحياة قطعةً من ذهب أو ورقة نقدية أو ثوباً مزركشاً أو سيارةً فارهة وما إلى ذلك

فنستمتع بهذه الرفاهية دون أن نصل إلى درجة العبودية لها والتفاني من أجلها، فإذا تيسرت لنا أسباب هذه الرفاهية استمتعنا بها، وإن لم تتوفر لم نأبه لها ولم نعدّ أنفسنا من الخاسرين؛ فقلوبنا البيضاء في تلك اللحظة تبين لنا حقيقة حياة لا نطمح أن تكون فيها اللذة المنشودة، كلذة الجنة التي نسعى لأجلها فنرضي الله ويُرضينا بشئى وجوه النعيم؛ كالحوريات التي تغضب لأجلنا حين تعذبنا نساء الدنيا بمشكلاتهن وينتظرن لحظة طال انتظارها ليغنين لنا بأعذب الأصوات ...

وذلك كما ورد: "لا تؤذي امرأة زوجها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتلك الله فإنما هو عندك دخیل يوشك أن يفارقك إلينا". فلا تغضبى يا نساء الدنيا من هذه الكلمات فأنتن في الجنة أحدى وأجمل ...

ماذا عن الشعور ..

" إن المشاعر لا تقاس بنظرة أو لمسة أو ما به يوماً لسان قد نطق ,
فرق كبير بين ما نخفي ونعلن في العواطف, والعواصف, والأرق ,
.. " عبدالعزيز جويبة

الشعور الحقيقي هو الشعور بكلّ ما نراه على حقيقته , ليست أغنية
ترقّصنا بموسيقى فاتنة أو قصيدة تغيب عقولنا عن الواقع لترحل بنا
إلى فضاء من الخيال الغير مرئي .

الشعور أن يوقظ قلوبنا لا أن يغيبها في الضباب ..

أو يتركنا وحيدين هناك نتلمّس بأيدينا الأرض خوفاً من الوقوع في
حفرة أو السقوط في وادٍ سحيق ..

الشعور أن نرى الملل في وجوه الناس بينما نشعر بالسعادة في كل
أمر في حياتنا وكأنّ له نكهة خاصة حتى في الابتلاء , إن هذه
المشاعر لا يمتلكها إلا بعض البشر ..

والشعور هو أن نصل إلى دقة الأحاسيس فنميز بين الرديء والسيئ
منها .

وصف الله المنافقين بعدم الشعور في أول سورة البقرة: (ولكن لا يشعرون)

لأنهم يفعلون الفساد ولا يعلمون أنه من الفساد ويظنونه الخير ولهذا حين لا يعلم أحد حقيقة الشيء نقول له :

إنك لا تشعر ..

والشعور أن نصل إلى درجة نفرّق فيها بين الإنسانية والوحشية ونرى الأشياء على حقيقتها ..

والشعور أن ننتج الفن فيثمر في أحاسيسنا وعقولنا فنقدم لأنفسنا شيئاً يستحق نضالها في حرب الألم .

فكيف حال من يأتي بأشياء مادية تجاوزت حدود الترف فيربطها بالأحاسيس وكأنها هي السعادة وهي الحزن والإرادة والفرح والسرور والألم؟!!!

وكيف حال من لا يفرّق بين البكاء اللاإرادي حين تغلبنا المشاعر وتعبث في قلوبنا، وبين من يبكي لغاية فاسدة؟!!!

فهل البكاء دليل حقيقي على المشاعر الصادقة؟

للبيداء صورٌ وأسبابٌ عديدة تصل أحياناً إلى حدّ التناقض؛ بل ربما تصل إلى تشويه ظاهرة البكاء التي تدلّ بالدرجة الأولى على الحسّ

المرهف. فقد نبكي فرحاً، أو حزناً، أو بؤساً، وقد نصادف مَنْ يبكي حيلة؛ كَمَنْ يبكي في صلاته ويقول لنفسه: الناس ينظرون إليّ.. فهذا بكاء أهل الرياء، ومثله أو قريب منه بكاء مَنْ يبكي لإخفاء جرمه؛ كما بكى إخوة يوسف عليه السلام عند أبيهم بدافع ادّعاء الحزن عليه وهم مَنْ رموه في البئر... ولك أن تتخيل منظر طفل صغير يُرمى في قعر بئرٍ مظلم وإخوته العشرة ينظرون إليه من فم البئر فيستتجد بهم بلا جدوى، فلم يجدْ في قلب أيّ منهم ليناً ورحمة، ومع ذلك استطاعوا البكاء وسكب الدموع كذباً واحتيالاً...

ومن صور البكاء أيضاً، بكاء الاستعطاف واستدرار المشاعر؛ كبكاء المرأة أمام الرجل لاستغلاله عاطفياً، وهي اللّغة الأولى التي تنفع كثيراً في خداع المشاعر ..

وقريباً من البكاء، الشكوى التي يتفنن الناس في أساليبها، كالذي يتحدث عن مرضه أو معاناته وضيق حياته فيبالغ في سردها وشرحها ليستعطفَ بذلك قلوب الناس، وما أكثرهم!! أذلك خيرٌ أم الرجل الصالح الذي مرض مرضاً شديداً فكتّم أنيه وألمه خوفاً من أن يقع في دائرة الشكوى؟ ..

فليس لنا إلا أن نقول : إنّ المشاعر هي الصدق في الأحاسيس، وما سوى ذلك ليس بشعور وإن ظهرت عليه علامات الشعور (كالبكاء

والفرح وغير ذلك...)؛ بل هو تظاهر بالشعور وفي حقيقته مخالفة له

..

حين تكثر مشاعرنا السلبية التي لا تُسمن ولا تُغني من جوع كالشعور بالفشل أو الضيق أو اليأس، فإنّ سلطان الأعدار يستولي على طبيعتنا ويهيننا طبيعة أخرى لا تقدّم لنا نفعاً , كقول امرأة: أريد التخلص من الحساسية العاطفية (خوفاً من الطلاق) ..

وسواء أكان الطلاق عاطفياً (صامتاً) أو حقيقياً، فالقصد من هذا هو ضعف المشاعر أو الشعور..

فتبدأ تشعر أنّ كل كلمة مهموسة تعنيها، وكل حركة سريعة تقصدها؛ فتتحسّس من كل شيء حتى من الكلمات الجميلة تفسرها كالسهم المنطلق من القوس .

ومن المشاعر السلبية، شعور الرجل حين يشكك بنزاهة زوجته وأخلاقها، فيحبسها بدافع الغيرة المفرطة أو الشك، فتنتشّره ملامح حياتهما، وربما انتهى به الأمر إلى الضرب أو الانفصال ..

أو شعور فتاة تغار من صديقاتها في الجامعة، فتغرق في مشاعر الحسد ..

أو شعور شاب ترفضه فتاة تقدّم لخطبتها، فيشوّه سمعتها في كل مكان ليرضي مشاعره الانتقامية..

فهذه الأمثلة غيظ من فيض؛ فالحياة مليئة بمثل هذه الحالات التي يطول الحديث عنها، والتي هي مفتاح لأبواب الأعذار. بمعنى آخر: كلّ مجرمٍ في مشاعره سيلتمس عذرَه ببساطة ..

فَمَنْ مِنَّا يستطيع ضبط مشاعره وأحاسيسه ولا يسمح لسلطان التبريرات الواهية أن يقرأ له الحياة كما يريد!؟

وأعود إلى العبارة التي ذكرتها في البداية: (اِرْكُضْ بِرِجْلِكَ)

إنّها اللحظة التي نودّ فيها تغيير الكثير من الأشياء مستعينين بالله عز وجل , لا بد من ضرب الأرض بأقدامنا وبقوة ليتسنى لنا العيش في الواقع وتثبيت أقدامنا فيه، ولا بد لهذا الركض من أن يغيّر فينا الكثير من ضبط المشاعر.

إننا بحاجة ماسة إلى أن نفهم حقيقة وجودنا في هذا العالم، فالمعصية جاءت بنا إلى الأرض، ولذا وجب علينا أن نرقى، وأول الرقي أن نثبت أقدامنا كي لا نقع ثم نسعى لمحو المعاصي حتى نرتفع ونرتقي من جديد ..

والإنسان بطبعه عجولٌ جداً، لذا يفتقر الكثير منا إلى قوة ثبات الأساس، فكيف لنا أن نثبت القلوب ونثبت الأقدام؟؟
(إِنَّ الْقُلُوبَ بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ اللَّهِ يُقَلِّبُهَا كَيْفَ يَشَاءُ) .

(بل الإنسان على نفسه بصيرة)

والإنسان وإن جهل أمرَ غيره من الناس، فإنه بصيرٌ بنفسه مُدركٌ عيوبه، ولا يحجبُ هذا الإدراك إلا الكِبْرُ أو التماذي في الثقة؛ إذ إنَّ المتكبر لا يعترف بنقصه، والمتماذي في ثقته يؤمن بأن الناس لا يصدفون في نَفْدِهِ بما هو كافٍ ..

فنحن نجد في كل مكان مجاملة فاحشة سواءً للكتاب أو الفنانين أو غيرهم، وهذه المجاملة الكاذبة التي زادت عن حدّها المعقول تُورطنا في الكثير من المشاكل التي تقود بنا إلى الخسران؛ كأن يُقال لنا: الكتاب الذي يحمل الاسم الفلاني من أجمل الكتب المؤلّفة، فنسارع للبحث عن آراء القراء حوله، فنجد مزيداً من الإطراء والثناء، وبعد شراء الكتاب نُفاجأ بمحتواه أنه دون المستوى اللائق، فنكتشف حينئذٍ أنّ هؤلاء المدّاحين هم أدوات ترويج ومجاملة للكاتب لكسب رضاه ،
ليس إلّا !!

فماذا فعلت بنا رؤى الناس المعتدين في مجاملاتهم؟!

وكما تحدثتُ من قبل عن المشاعر، فإننا حقاً لا نركّز في الأمور كثيراً لفهمها على ماهيتها الحقيقية، فلا نفرّق بين التواضع والذل، ولا نفرق بين النصيحة والغيبة، ولا بين الفراسة والظن، ولا بين الاحتراز وسوء الظن، ولا بين الاقتصاد والشح، وكل هذا الفروقات قد بيّنها العلماء في كتبهم أمثال ابن القيم في كتابه (الروح).

وحين نفهم الفروقات ونعرف معنى كل مفهوم، فلن نجعل أنفسنا ولن نُصاب بالكبر والأنانية وحبّ النفس ظناً منا أنّ قوة الشخصية تكمن فيها، فالقوة ليست في تحقير الناس أو تسفيهم أبداً..

وكان بعضهم إذا خرج من بيته حدّث نفسه: (لا تغترّي فالجميع أفضل منك). وهذا لا يعني تحقير النفس مطلقاً وإنما الوصول إلى مفهوم التواضع الذي يكون بعدم احتقار الناس أو الاعتداء على من هو أفضل منه، وطبيعي أن تكون هذه القاعدة مع الأتقياء منهم لا مع السفهاء أو الحمقى..

والمقصود أننا يجب أن ندرك حقيقة أنفسنا ونعرف نقائصها ولا نتعدى حدود مقدرتنا بالتخيلات وإنما بالإيمان بأن الله وهبنا الكثير ونستطيع تحقيق الكثير دون اعتداء، كما في قصة الرجل الذي يدعى (بلعام بن باعوراء) الذي آتاه الله علماً فاعتدى واتبع هواه وتجاوز حدود مقدرته، فجعل الله مثل هذا الرجل (كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلَ عَلَيْهِ يَلْهَثُ أَوْ تَتْرَكُهُ يَلْهَثُ) فهذا مع العلم الذي وهبه الله إياه لم يشعر ولم

يفكر بعظمة العلم الذي كان من الممكن أن يرفعه الله به كما ذُكرَ في القرآن الكريم، لكنّه أخذَ إلى الأرض ..

(أخذَ إلى الأرض)

" أصل الأخلاق المذمومة كلّها: الكِبْرُ والمَهانة والدَّناءة. وأصل الأخلاق المحمودة كلّها : الخشوع وعلو الهمة "

ابن قَيِّم الجوزية

" إذا أقبلت الحكمة خدمت الشهواتُ العقولَ و إذا أدبرت خدمت العقولُ الشهوات "

سقراط

فالشهوآت تُحيدُ بصاحبها عن التفكير الصحيح وتغيّب النور ..

وهذا صحيح لأنّ الشهوة تشغلُ الفكر، وبالتالي يغيب النور وتغيب الحقيقة، ممّا ينتجُ عن ذلك الشُرود والتخيّلات السيئة والفهم السقيم وضعف العقل وقلة الحفظ وتلاشي الذاكرة ..

فالذي تتملكه الشهوات يجهل الحقائق ويصبح في عالمه الثاني الوهمي فيرتكب الكثير من الأخطاء ثمّ يحل به الندم إذا ما رجع إلى العالم الحقيقي ..

كالرجل الذي يغريه جمال الأنثى ولا يكون بحاجة إلى الزواج من امرأة أخرى لكنَّ جمالَ المرأة وفنتتها وإغراءها غيَّب عقله عن التفكير بالعواقب، فإذا ما تزوجها (ولم يكن بحاجة لهذا الزواج) ونال منها غايته تفكَّر في أمره وندم ..

أو كالمراة التي تحمل المال في حقيبتها فتدخل السوق ثم تخرج وقد أنفقت كل ما لديها ثم يحل بها الندم لشراء أشياء لم تكن بحاجة إليها ..

والشهوة ليست في شيء واحد، بل لها أشكالٌ متعدّدة كشهوة التسوق وشهوة المال وشهوة التسلُّط وشهوة الظلم، وكلّ تعدُّ لحدود الشيء شهوة .

وكثيراً ما يُقال: إنّنا إذا ما ضبطنا هذه الشهوة نرتفع ونرتقي، وهذا صحيح لأن الشهوات هي التي جعلت هذا الرجل (بلعام بن باعوراء) يخلد إلى الأرض لأجل الشهوات السفلية والمقاصد الدنيوية.

وبلعام كما ذَكَرَ الدكتور وهبة بن مصطفى الزحيلي في "التفسير المنير":

" عالم من علماء بني إسرائيل، وقيل: من الكنعانيين، وروي عن ابن عباس أنه رجل من اليمن، اسمه بلعم بن باعوراء، أوتي علم بعض كتب الله، فانسَخ منها، وكفر بآيات الله، ونبذها وراء ظهره.

وذلك أن موسى عليه السلام قصد بلده الذي هو فيه، وغزا أهله وكانوا كفاراً، فطلبوا منه أن يدعو على موسى عليه السلام وقومه، وكان مجاب الدعوة، وعنده اسم الله الأعظم، فامتنع منه، فما زالوا يطلبونه منه، حتى دعا عليه، فاستجيب له، ووقع موسى وبنو إسرائيل في التيه بدعائه.

وقال مالك بن دينار: كان من علماء بني إسرائيل، وكان مجاب الدعوة، يقدمونه في الشدائد، بعثه نبي الله موسى عليه السلام إلى ملك مدين، يدعو إلى الله، فأقطعه وأعطاه، فتبع دينه، وترك دين موسى عليه السلام.

وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِالْآيَاتِ، وجعلنا له منزلة عظيمة من منازل العلماء الأبرار، بأن نوقفه للهداية والعمل بالآيات.

ولكنه ركن إلى الدنيا ومال إليها ورغب فيها واهتم بلذائذها، واتبع هواه، فلم يوجه همه إلى نعيم الآخرة، ولم يهتد بآياتنا، ولم ترق نفسه إلى سلم الكمال الروحي، ولم يحترم نعمة الله عليه باستعمالها في مرضاته.

وأصبح مثله أو صفته في الذلة والحقارة، والخسة والدناءة كمثل الكلب أو صفته في أخس أحوالها وأذلها، وهي حال دوام اللهث به، سواء حمل عليه أي شد عليه وطرده، أو ترك دون طرده.

وهذه الصفة هي أقبح حالات الكلب وأخسها، وقد شبّه بها حال عجيبة غريبة، هي حال ذلك الذي تجرّد من معرفة آيات الله تعالى".
ا.هـ

فإذا ما أردنا العلوّ والرّفعة فما علينا إلّا أن نتخلّص من شبح الشهوات ونكبح جماحها، ولا يعني الانقطاع عنها كلياً وإنّما الابتعاد عن الإفراط في اتّباعها. ولكن؟ كيف بإمكاننا تحقيق هذه الغاية؟

نحنُ بحاجة إلى تثقيف العقل وضبط النفس ، وهناك - فيما أعلم -، ما يُعيننا على فعل ذلك ..

إنّ القراءة وسيلة جيّدة لتنمية هذا العقل وتدريبه على التزام حدوده وعدم الإفراط في كافّة أموره، ولأنّه لا يوجد كتاب أعظم من كلام الله والذي يرفع الله به أقواماً، فإنه الأفضل والأعلى والأقوى لتهديب العقل لتكون أفكاره سوّية .

وليست الغاية فقط هي كثرة القراءة لكتاب الله، بل الوقوف عند كل آية وتأمّلها وإدراك معناها، فإذا فعلنا ذلك أصبح بإمكاننا أن نحيا حياة صحيحة مستقيمة .

الإفراط في المشاعر ..

" في لحظات الضعف تنتابنا رغبات ملحة في الفضفضة، وغالباً ما نختار شخصاً بمواصفات معينة لنبوح له بما نخترناه في عقولنا وقلوبنا من أفكار ومشاعر، ومعظم خيالاتنا تنتج عن اختيار الشخص غير المناسب للقيام بهذا الدور المتناهي الحساسية"

عبد الله النعيمي

وفي رحلتنا على متن سفينة الحياة صادفنا أنفساً حساسة مفرطة في المشاعر، ولهذا تقول بعض النساء :

(أنقذوني من الحساسية العاطفية)

لأنها وجدتها مرضاً يجب التخلص منه لتعيش حياة طبيعية هادئة ..
و حين قرأتُ عن الحساسية العاطفية كان معظم ما قيل فيها كلاماً ونصائح متكررة تحاول المرأة أو حتى الرجل القيام بها لكن بلا جدوى؛ لأنها تعالج القضية بمنطلق خارجي لا ينبعث من داخل تلك النفس التي تعاني ممّا أسميناه (الحساسية العاطفية) .

والنتيجة: إذا كانت الحساسية تهدأ ببعض الكلمات المشجعة فإنها لن تنتهي مطلقاً وستعود لاحقاً ..

" إن الذين يبحثون عن الراحة في مكان هادئ مخطئون، الهدوء لا يريح ، بالعكس .. إنه أكثر إرهاقاً للأعصاب وللعقل من الضجيج .. فالراحة الحقيقية هي أن ترتاح من نفسك ، ، أن تجد ما يشغلك عنها. " إحسان عبد القدوس

وأنتم ترون في حياتكم الكثير من هؤلاء الذين يشعرون بالحساسية المفرطة من كلماتٍ يسيرة، وأضرب أمثلة عامة :

❖ إذا لم توفّق فتاة في دراستها إمّا لإهمالها في المرحلة الثانوية أو لظروف حياتها , أو حتى بسبب الحسد الذي قد تتعرّض له ويجعلها متعذّرة في دراستها، هذه الفتاة غالباً ما تصاب بالحساسية من أي كلمة تخصّ الدراسة ويضيق صدرها حين تسمع بتخرّج صديقاتها من الجامعة ..

❖ أو امرأة مطلقة - حتى لو كانت مظلومةً من قِبَل زوجها - قد تصاب بالحساسية من كثرة ما يتكلمون عن المطلقات وكأنها أول امرأة تُطلّق وتعود إلى بيت أهلها ..

❖ أو رجل فشل في مشروع الزواج وكلما يخطب امرأة ترفضه فكبر في السن ولم يتزوج، فإنه يشعر أنّ كل موضوع يخصّ

الزواج يعنيه وكأن الناس يتعمدون الحديث أمامه عن
الزواج، وربما لا يكون هذا صحيحاً لكن - في نظره - لا
سبيل لتفسير آخر لما يقولون..

فإذا قلتُ لهم افعلوا كذا وكذا فإن هذا الكلام مكرّر ولن يكون علاجاً
لهذه المشكلة، ولهذا نحن نتحدث عن المشاعر ..

لو أنك بهذه الشخصية :

شخص ناجح في حياتك - وإن فشلتَ في جزءٍ منها - لكنك ناجح في
أمور كثيرة، واثق بنفسك ولديك قناعة بأن كل ما يحدث هو مقدر
وفي قلبك يقين بأن الله الذي (يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ
) وحدّه من يغيّر الأمور ويقلب الأوجاع إلى أفراح وإنما عليك
العمل، فإنك بهذه الحال حتماً لن يكون لديك مانعٌ من تعرّضك لبعض
النقد من قبل الناس؛ لأنك في النهاية ستقول لهم :

" الحمد لله الذي جعل أمري بين يديه وهو اللطيف الخبير ولم
يجعله بين يدي الخلق إذن لهلكتُ وكنْتُ من الخاسرين .. "

لأنك ببساطة لو تأثرت بكلام الناس ستكون شخصاً لا يُعتمد عليه
وليس له شخصيته الفريدة ..

فلا مانع من الاستفادة من نقد الآخرين إن كان نابعاً من نُصَحٍ صادق، والعقل الذي كَرَّمنا الله به كفيلاً بالتمييز بين مَنْ يريد لنا النصيحة والفائدة مِمَّن يريد السخرية والشماتة، وَمَنْ لم يُدرك هذا فهو أحمق .

وذلك نُدرِكُه من خلال حياتنا مع الناس ومعاشرتنا لهم، فيتضح لنا مَنْ يتعمد السخرية والاستهزاء مِمَّن يريد لنا الخير ولو كان نُصَحُه قاسياً .

فالحياة لا تخلو من :

الحساد والماكرين والبُغضاء والأنايين

وكما قال عبدالله القصيمي :

" الإنسان الذي لا يشعر بالخطر والتهديد أو المنافسة من أي نوع، لا يمكن أن يشعر بالبغض أو الحقد لآته لن يشعر بالحاجة إلى الدفاع عن النفس .. إن الذي يريد كثيراً ويعجز كثيراً هو أشد الناس حماساً في بغضه وكرهه " . اهـ

ولا يخلو البشر من هذه الأصناف السلبية الكثيرة، وإلا لَمَا كانت هناك حروبٌ ولا أوجاعٌ ولا حبسٌ قَطْرِ السماءِ , ولكنَّ الجشعَ يجعل

بعض الناس يعيش بمَعزِلٍ عن الأخلاق والفهم الصحيح للغاية التي خُلِقَ من أجلها والتي كانت سبباً لوجوده على الأرض ..

نحن نقبل الانتقاد الممزوج بالنُّصْحِ النَّقِيِّ، لأن ذلك يعني مصلحتنا، لكننا نرفض الانتقاد المُصاحِبَ للحقد والذي يصدر مِمَّنْ نعلمُ حقيقته ونفهم قصده السيئ.

وكما يقول تشرشل :

" الانتقاد قد لا يكون محبباً لكنّه ضروريّ لأنّه يقوم بنفس وظيفة الألم في جسم الإنسان وينبّهنا إلى أمر غير صحي "

صرنا نعتقد أنّ النّاس إمّا ناصحٌ وإمّا منتقدٌ وإمّا بعيدٌ عنهما لا يتدخّل مُطلقاً في ألوان الناس ولا في تصرفاتهم .

فالذي ينصحنا سواء بطريقةٍ لطيفةٍ أو قاسيةٍ فهو مقربٌ منّا وإن غضبنا منه ..

أما الذي يستهزئ أو يشمت فهو لن يقطع من رؤوسنا شعرةً ولن يزرع في قلوبنا بذرةً ولن يسقينا قطرةً ..

فلا سبيلَ إلى رضاه ولا نفع في مرضاته ..

ومن لطيفٍ ما قال أنيس منصور:

"لا أعرف قواعد النجاح ولكن أهم قاعدة للفشل إرضاء كل الناس..
". ا.هـ

فعلامَ الحزن والقلق واستنفاد طاقاتنا في الحساسية لأجل مَنْ لا
يستحق؟؟!

إنّ للمشاعر طاقاتٍ يجب اغتنامُها فيما يصلح أحوالنا .

فالمشاعر تستهدف الطاقة؛ فمثلاً القلق أو الحزن:

يأخذ الكثير من الطاقة ويستحوذ على حيز كبير من العقل فلا يعمل
مع القلق أو الحزن بشيء آخر بل تتعطل قواه , فإذا ذهبت الطاقة في
هذه المشاعر المثقوبة فإنها تتبدد ولن ننتفع بها. كالخائف من الفقر
يخشى الموت جوعاً والله يطعمه في كل يوم برزق جديد لكنه لو انتبه
لنفسه لوجد أنه بخوفه هذا وقلقه يموت مراراً كلَّ ليلة .

فكم يهدر من الطاقة في ذلك؟!

كذلك أنت حين تسمع كلمة جارحة فتصاب بالحساسية وتعزل الناس
وتغلق باب غرفتك وتعيش أجواء الليل في وضح النهار وتفكر وتقلق
وتشعر بالتعب والحزن والغیظ ثم تمر ساعات وتنسى ثم تسمع كلمة
أخرى فتشكو وتحزن مرة أخرى وتعزل ... ثم ماذا ؟

كم من الوقت ضاع وكم من الطاقات هُدرت؟!

علماً بأنّ الذي قال لك هذه الكلمة يستمتع بحياته وساعات يومه ولا يتذكّر أنه قد ضايقك أصلاً ..

وهنا نقتبس كلاماً جميلاً ولطيفاً لمصطفى صادق الرافعي :

" إذا استقبلت العالم بالنفس الواسعة، رأيت حقائق السرور تزيد وتتسع، وحقائق الهموم تصغر وتضيق، وأدركت أن دنياك إن ضاقت فأنت الضيق لا هي ". ا.هـ.

ولست وحدك من يحصل معه (هدر الطاقة) هذا، فهناك نسبة كبيرة من النساء والرجال ممن يصابون بالحساسية المفرطة، وكل ذلك من ضعف النفس، فإنك متى وصلت إلى القوة القيادية الإيجابية الحسنة لنفسك ستكون بخير دائماً؛ لأن النفس الضعيفة تجلب لنا الكثير من المتاعب فالنبي صلى الله عليه وسلم كان يقول :

(أعوذ بك من شر نفسي)

وكان يعلمنا أيضاً دعاء :

(ولا تكُنِّي إلى نفسي طرفة عين) .

وكل ذلك يعود إلى النفس، فإذا ما ضعفت تكون سائر حياتنا مبعثرة مليئة بالمشاكل، فيجدر بنا حينئذٍ أن نستسلم لله وأن ندعوه بأن لا يجعل اتكالنا على أنفسنا. وفي الحديث :

قال النبي صلى الله عليه وسلم لفاطمة رضي الله عنها :

"ما يمنعك أن تسمعي ما أوصيك به ، أو تقولي إذا أصبحت وإذا أمسيت : يا حي يا قيوم برحمتك أستغيث ، أصلح لي شأني كله ، ولا تكلني إلى نفسي طرفة عين". (السلسلة الصحيحة رقم/227) .

يتضمن هذا الدعاء تحقيق العبودية لله وحده والتوسل إليه بأسمائه وصفاته بأن يصلح أحوالنا ولا يتركنا لضعفنا وعجزنا لحظة واحدة .

وقد ذكر ابن القيم في (طريق الهجرتين) :

" من ههنا خذل من خذل ، ووفَّق من وفَّق ، فحجب المخذول عن حقيقته ، ونسي نفسه ، فنسي فقره وحاجته وضرورته إلى ربه ، فطغى وعتا ، فحقت عليه الشقوة ، قال تعالى :

(كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى)

وقال :

(فأما من أعطى واتقى وصدق بالحسنى فسنيسره لليسرى وأما من
بخل واستغنى وكذب بالحسنى فسنيسره للعسرى)

فأكمل الخلق أكملهم عبودية ، وأعظمهم شهوداً لفقره وضرورته
وحاجته إلى ربه ، وعدم استغناؤه عنه طرفة عين .

ولهذا كان من دعائه : (أصلح لي شأنى كله ، ولا تكني إلى نفسى
طرفة عين ولا إلى أحد من خلقك)

وكان يدعو : يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك .

يعلم أن قلبه بيد الرحمن عز وجل ، لا يملك منه شيئاً ، وأن الله
سبحانه يصرفه كما يشاء ، كيف وهو يتلو قوله تعالى :

(ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئاً قليلاً)

فضرورته إلى ربه وفاقته إليه بحسب معرفته به ، وحسب قربه منه
، ومنزلته عنده " . اهـ .

فكلّ داءٍ من أدواء النفس يمكن علاجه بالتهميش والإهمال , أي أن لا
تجعله يشغل حيزاً كبيراً من اهتمامك، بل تجعل همّك الوحيد أن
تُحقّق الغاية التي من أجلها خُلِقنا , وهي ذِكْرُ الله وعبادته .

اليأس لا ينتهي في الحياة لكننا نهمّشه :

يا قلب صبراً جميلاً إنه قدر
يجري على المرء من أسر وإطلاق
لا بد للضيق بعد اليأس من فرج
وكل داجية يوماً لإشراق

محمود سامي البارودي

"لماذا اليأس وصورة الكون البديع بما فيها من جمال ونظام وحكمة
وتخطيط موزون توحى باله عادل لا يخطئ ميزانه، كريم لا يكفّ
عن العطاء". مصطفى محمود

في الحياة، الكثير من المشاعر والكثير من الأمنيات والأحلام، وفيها
الأخلاق الحسنة والأخلاق السيئة، وفيها الإصلاح والفساد، ولا يأتي
زمان إلا والذي بعده أكثر شراً وضيقاً وبلاءً .

وفي زماننا قد يئست فينا القلوب ونرى في كل يوم عجائب الهموم
وكأنها تمطر ياساً ..

يوم لنا ويوم علينا والزمان يمضي والحياة مستمرة في سيرها إلى
النهاية ..

ولابد لنا من التفاؤل فنحن بأمرّ الحاجة إليه مع ما نراه من
الابتلاءات .

لو أردتُ الحديث عن الأشياء التي تجلب لنا اليأس لتركتُ صفحات
الكتاب بلا نهاية؛ لأن في داخل كل واحد منا ما يعجز اللسان عن
وصفه من الهموم والأمنيات، فالأمنية التي لا تتحقق تعني الهم
وتجلب الغم ..

والهم يهدم البدن ويخنق السعادة ويضعف القلب.. فهل اليأس من كل
شيء هو الحل الوحيد لما نحن فيه ؟

حين فقد يعقوب ابنه يوسف عليهما السلام فقده طفلاً ومضت السنوات
بما تحمله من ألوان العذاب في قلوب الفاقدين..

وبعد أن ماتت أكذوبة الذنب الذي التهم يوسف ومات الذنب، لم ييأس
يعقوب من الفرج بل قال لأولاده الذين أخبروه بقصة الذنب :

(وَلَا تَيَسَّسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيَسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ
الْكَافِرُونَ)

فوجد ولده بعد كلّ ما حصل، وبعد انتظارٍ طويلٍ.. فهلاً وجدتم الفرّج
بإيمانكم ويقينكم بالله عز وجل ؟

حين نقول : "لا حول ولا قوة إلا بالله "

فنحن نوقن بأن ضعفنا وقوّتنا بيد الله وأننا حين نكلُّ أمورنا لأنفسنا
الضعيفة تتغيّر أحوالنا للأسوأ، وحين نعتقد بقدرتنا على فعل ما نريد
دون اللجوء للخالق، تذهب تلك القدرة كالهباء المنثور وما يبقى إلا
اليأس والثبور .

أمّا الذي أوكل أموره وجميع أحواله ووضعها بين يدي الله نجح
وفاز. فعلامٌ نقول : لا حول ولا قوة إلا بالله ولسنا بمدرّكين معناها ؟

وعلام نقول ربنا الأحد الصمد ثم لا نحاول فهم معنى الصمد؟!!

فيا معشر البائسين واليائسين، هلمّوا جميعاً واطركوا اليأس جانباً
وأيقنوا بقدره الله على تغيير ما لم تستطع أنفسنا تغييره (ربنا لا
تواخذنا إن نسينا أو أخطأنا ..) .

تقول بثينة العيسى :

" يا قوي، امنحني القوة .. قوة العشبّة التي تجرح الجدار , قوة
القطرة التي تثقب الحجر , قوة الصلاة التي تستجلب المطر ".

فالتشاؤم هو سوء أدبٍ مع الله؛ فالمتشائم لا يدرك معنى حسن الظن بالله، ولهذا فإنَّ كلَّ يائسٍ من رَوْحِ الله يُنسبُ إلى الكافرين .

والتفاؤل ليس جملة تكتب في رواية أو كتاب فنمرّ عليها دون وقوف

..

وليس كلمة تُلفظ دون عمل ..

إنَّ التفاؤل أن تقول خيراً ولو كنت في ضيق ليتسنّى لك بهذه الشخصية المتفائلة أن تغيظ كل عدو يتربص بك وأن تقتل فكر كل حسود يريد لك الضرر.

فالذي يتفاعل يجد السعادة في داخله لأنه محسنُ الظنِّ بربه. فإذا فعلتَ أمراً ولم تجدْ ثمرته فقلْ في نفسك لعله خير وأحسن الظن بربك واصبر وانتظر، فكلمة جميلة منك لنفسك تشعرها بالأمان والطمأنينة التي لا يشعر بها مَنْ يتلفظ بألفاظ السوء من غير إدراك لمدى تأثير تلك الكلمات على نفسه .

يقول عبد الله الغدامي :

" التفاؤل أن تفهم عيوب الحياة وتعرف أنها ليست كارثة "

يُقال لأحدنا: استمتع بحياتك.. لا تحزن.. لا تيأس.. كن إيجابياً.. الخ

كثيراً ما نسمع مثل هذه الكلمات وكثيراً ما نقرأها في الكتب ولكن
أكثر المُستمعين والقراء يسألون القائل الناصح سؤالاً واحداً :

لقد أخبرتنا بالمفهوم الأساسي ولكن ما هي الطريقة لفعل ذلك ؟

فنحن ببساطة نعرف كلّ ما يؤلمنا ونعرف سبب فشلنا، والله تعالى
يقول في كتابه العزيز: (بلِ الإنسان على نفسه بصيرة) . فكل واحد
منا يعرف سبب مشكلته في الحياة ولكن كيف السبيل إلى التغيير
عملياً ؟

قلتُ: عملياً ..

سأخبركم بمفهوم عملي بسيط تطبّقونه في حياتكم، وستعرفون طريقة
حلّ كل مشكلة بإذن الله .

لو أن أحدكم أصابه الأرق في الليل فلم يستطع النوم، فبديهياً يُرجع
السبب إما لنومه نهاراً، أو شربه المنبّهات بكثرة، أو قلة حركته في
النهار، أو بسبب قلق أصابه من جرّاء مشكلة ما ..

وهناك الكثير من الأسباب لهذا الأرق، فهنا رجعنا إلى أصل المشكلة
وعرفنا بعض أسبابها، وإن قال قائل منكم: فما السبيل إلى علاج القلق
الذي يسبب الأرق ؟

كل ما عليك أن تحافظ على الهدوء الروحي وأن تجمع شمل نفسك بالصلاة. لا تستهن بهذا الحل فالراحة النفسية في صلاتك هي الصلة الأولى بين روحك وبين خالقها ولا تستقيم نفسك دونها ..

لا بد من أن نُجرح في الحياة وننألم ونعاني فنحتاج إلى قوة وصبر وعلاج لهذه الهموم، لأن ألم الجسد يعني معاناة الجسد وألم الروح يعني معاناة الروح ..

ومن اللطيف أن تقرأ كلماتٍ جميلةً لواسيني الأعرج :

" ما أدراك بجراح الروح ؟

الجراح التي تنزف تحت الجلد أبدياً، أو تلك التي غطتها الأيام بغلاف شفاف لا يراه إلا من في قلبه جروح مشابهة ؟

هل تبدو جروحك للعيان ؟

الله وحده يعلم معاناتك وتيهك القاسي وتشردك ومنافيك، لا شيء يرتسم على الجبهة " . ا.هـ

وماذا يحصل إن استرحتَ روحياً؟؟

الهدوء الداخلي ومغفرة الذنوب الثقيلة وعدم شعورك بالضيق لأنك لم تقصّر في عبادتك، وحتى إن لهوتَ قليلاً لن تشعر بالضيق والملل والكآبة التي يشعر بها الكثير من الناس حتى في لحظة اللهو واللعب.

فأصبح الحل العملي واضحاً ويتجلى في :

- الوضوء والصلاة
- والدعاء بلهفة
- والاستغفار لتخفيف ثقل الذنوب ..

ونصيحتي لك ..

لا تظنّ أنّ هذه الكلمات مكرّرة لأننا فعلاً لم نُخلَقَ للدنيا بل خُلِقْنَا للآخرة. مهما رأيتَ من بعثرةٍ في الحياة من قِبَلِ الناسِ أو فسادٍ غير مفهوم الدنيا فإننا لن نرجعَ إلا إلى الله، وحتى لو لم تكن موقناً بهذه الجملة فإن مردّنا إلى الله العزيز الحكيم ..

مشكلة أخرى :

ترى الكثير من الأحلام المختلطة والكوابيس المُرهِقة، فما هو سببها ؟

رجعنا إلى أصل تلك الأحلام الكثيرة والكوابيس المزعجة، ومن أسبابها النوم على التخمة حين تمتلئ المعدة بالطعام ويعقبها النوم، وأيضاً كثرة التخليط في النهار فبعض الناس يكثر من التثرثرة في النهار فلا يمكّ لسانه فيدخل في الغيبة والنميمة وأعراض الناس فإذا نام وجد تلك الأحلام .

وعلاجه أن تَضِبُّ نفسك ولسانك ومعدتك ..

مشكلة أخرى :

الشعور بالنقص والغيرة من الأصدقاء المتفوقين .. فكثيراً من الشباب يجد في نفسه ضيقاً حين ينظر إلى نفسه ويقارنها بغيرها من الأنفس

..

لماذا أنا الوحيد الذي لم أنجح في حياتي ؟

فارجع إلى المشكلة وستجد أنها تكمن في سوء التخطيط ..

تقول أنا روزفلت :

"التمني يستهلك نفس الطاقة التي يستهلكها التخطيط" .

لا يمكنك معارضة هذا الكلام لأن كلمة تخطيط فلما نستخدمها في حياتنا .

والسؤال هل لديك خطة واضحة لمسيرتك في الحياة ؟

لقد امتلأت كتب الموارد البشرية وغيرها من كتب تطوير الذات بهذا السؤال: (هل خطَّطتَ لحياتك) ؟

ولا داعي لتكرار هذا السؤال لكننا نقولها بطريقة أفضل: (إذا لم تخطّط لحياتك فلا تنتظر نجاحاً حقيقياً وإن نجحتَ فهذا هو الحظّ العظيم) انتهى ..

" الوقت ضيق , الشمعة الكبيرة على وشك أن تذوب , إن البكاء والحزن لا يحلان المشاكل " . غسان كنفاني

فعلاج كل مشاكلنا هو الرجوع إلى أصل المشكلة، فحين ترى النهر ملوثاً فارجع إلى نبعه ستعرف سبب التلوث ..

وكيف لك أن تترك نفسك تلهو كما تحب ولا تمسكها فتندرها من وبال لهما الكثير!؟

اكتب لنفسك خطة واضحة .. قل مثلاً :

(أريد أن أكون شخصاً عظيماً، والسبيل إلى ذلك القراءة الكثيرة والتفكير بعمق والتجربة عملياً).

لا تقل الكتابة موهبة والنجاح موهبة وكذا وكذا موهبة.. ودعني أقولها بصراحة :

(الكثير من الأغبياء - كما يُقال عنهم في طفولتهم - أصبحوا أكثر نجاحاً من المجتهدين من طبقتهم عندما كبروا) لماذا ؟

فقط لأنَّ هناك مَنْ رسم لهم أو ساعدهم في رسم خطة واضحة، فضلاً عمَّا بذلوه من دراسة واجتهاد ..

وهكذا حين تعرف ماهية مشكلتك حاولْ إرجاعها إلى الأصل واستفسِرْ بعمق عن أسبابها إن كانت عاطفية أو نفسية أو حتى جسدية أو مالية , واطلبْ مساعدةً إن احتجَّتْ إلى ذلك ..

اهزمْ مشكلاتك ..

" الحياة هي عبارة عن حل للمشاكل . فإما أن تهزمك المشاكل أو تجعل منك شخصاً عظيماً . الأمر متوقف عليك " . انتوني روبنز

إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ..

خيرُ ما أفتتحُ به هذا الفصل :

"قال الله تعالى: يا عبادي! إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته محرماً بينكم فلا تظالموا يا عبادي! ". مختصر مسلم: 1828

لا نتذكر الظلم إلا حين ينزل البلاء والعذاب، فلماذا لا نتذكره قبل أن ينزل ؟

وكم من الظلم نرتكب في اليوم واللييلة ؟

إن أكثر الظلم الذي نفعله هو ظلمنا لأنفسنا؛ فحين لا نقومها بالطاعة فإننا ظالمون، وحين لا نذكرها بالله وبذكره وتسبيحه فإننا مهلكوها من غير أن نشعر، فكل ضيق وحزن وتعاسة وكآبة هي ثمرة الذنوب التي اقترفناها، وحين ينزل العذاب بقرية من القرى يقول أهلها: (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) .

فحين اقتترف آدم عليه السلام وحواء ما اقترفاه:

(قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا)

وحين وصلت بلقيس إلى سليمان عليه السلام ورأت الإيمان قالت :

(رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي وَأَسْلَمْتُ مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) .

وحين شعر يونس بالوحشة في بطن الحوت وتذكَّر ذنبه قال :

(إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

ولم نتوقف عن ظلمنا لأنفسنا الرضيعة الملازمة لنا، بل أطمعناها بالرضاع ولم نفظمها ، حتى ركنت إلى الجهل والضعف وكل ذلك من سوء تربيته لنا، ولو أحسنَّا تربيتها لقمنا بها إلى صلاة الفجر مُحِبِّين لها وكانت الصلاة بالنسبة لنا :

(كِتَابًا مَوْقُوتًا) .

وأضيفُ إلى ذلك ظلمنا للعباد - وهو الأسوأ- من غيبة ونميمة وتدخُل فيما لا يعنيننا وفضح من ستره الله وأكل ميراث الأخوات وعقوق الأمهات وغيرها ..

ولا سبيلَ إلى النجاة حتى نعترف بالظلم أولاً ثم نطلب المغفرة ثانياً، وما أجمله من اعتراف ممزوج بنبرة الاستغفار في دعوة ذي النون عليه السلام :

(فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) .

فكرّها واعترفْ بظلمك دائماً لعلّ الله أن يغفر لنا جميعاً، فكل هذه الهموم والضيق من جرّاء الظلم الذي نفعله ..

وقد مكّنا الله تعالى في الأرض وجعل لنا فيها معاش ورزقنا وأنبت لنا من الأرض وأنزل لنا من السماء ماء، وليست هذه الكلمات لأجل تذكيرك بالنعم فحسب، بل لتتفكّر كيف ستكون حياتك لو حرّمت من جميع هذه الفضائل والنعم؟!

فنحن الآن من نحبس الحيوان ونفعل به ما نشاء بتمكين من الله تعالى فنستفيد من هذا التمكين لقضاء شؤون حياتنا .

ولدينا العقل الذي به نصطاد جميع ما نراه من الحيوان وإن كان مفترساً قاتلاً، فكيف لو كان التمكين للحيوان دون الإنسان؟! فلو كان هذا التمكين للحيوان لما بقي إنسان على وجه الأرض، لكننا قليلاً ما نشكر الله تعالى على هذا التمكين الذي وهبنا إياه .

يقول ابن قيم الجوزية رحمه الله في كتابه التبيين :

" فاقترضت العناية الأزلية والحكمة الإلهية أن وضع عليها رواسي يثبتها بها لنلا تميد وليستقر عليها الأنام وجعلها ذلولاً على الحكمة في أن لم تكن في غاية الصلابة والشدة كالحديد فيمتنع حفرها وشقها والبناء فيها والغرسى والزرع وبعث النوم عليها والمشى فيها ونبه بكونها قراراً على الحكمة في أنها لم تخلق في غاية اللين

والرخاوة والدمائة فلا تمسك بناء ولا يستقر عليها الحيوان ولا الأجسام الثقيلة بل جعلها بين الصلابة والدمائة وأشرف الجواهر عند الإنسان الذهب والفضة والياقوت والزمرد فلو كانت الأرض من هذه الجواهر لفاتت مصالح العباد والحيوان منها وتعطلت المنافع المقصودة منها وبهذا يعلم أن جواهر التراب أشرف من هذه الجواهر وأنفع وأبرك وإن كانت تلك أعلى وأعز فغلاؤها وعزتها لقاتها وإلا فالتراب أنفع منها وأبرك وأنفس ..".

ولكن بعضنا - للأسف- جعل هذا التمكين للظلم وقهر الخلق، وكلُّ يدعي أن صنيعة هو الحق وما سواه من فعل الناس باطل، وكم من الناس - كما أخبرنا الله تعالى عنهم - يقدمون إليه يوم القيامة تنتائر أعمالهم كنتائر الرماد في يوم عاصف لأنهم كانوا في الدنيا من الذين (يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) .

فلا تَفْتَخِرْ بِعَمَلِكَ وَلَا تَقُلْ إِنِّي عَلَى الْحَقِّ وَالصَّوَابِ بَلِ اعْتَرَفْتُ دَائِمًا بِتَقْصِيرِكَ , أَلَا تَرَى الْمُؤْمِنِينَ يَبْدُونَ بَعْدَ كُلِّ صَلَاةٍ بِالِاسْتِغْفَارِ قَبْلَ التَّسْبِيحِ وَالتَّحْمِيدِ ؟

وذلك اعترافاً منهم بالتقصير في الصلاة بسبب شرود الذهن والتفكير بما لا يليق في وقت العبادة، فيسارعون إلى الاستغفار بعد الصلاة التماساً لعفو الله تعالى وغفرانه لعله يتقبل صلاتهم ويعفو عن زلاتهم

..

يقول الحسن البصري:

" إن قوماً ألتهتهم أماني المغفرة، رجاء الرحمة حتى خرجوا من الدنيا وليست لهم أعمال صالحة. يقول أحدهم: إني لأحسن الظن بالله وأرجو رحمة الله، وكذب، ولو أحسن الظن بالله لأحسن العمل لله، ولو رجا رحمة الله لطلبها بالأعمال الصالحة، يوشك من دخل المفازة (الصحراء) من غير زاد ولا ماء أن يهلك ".

أَصْلِحْ بِأَلِكْ تَصْلِحْ أَحْوَالِكْ

وأما عن صلاح البال فعليك أن تغسل قلبك بالاستغفار

(كَفَر عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بِهِمْ)

أي شأنهم وأمرهم وحالهم.. وحين تصلح أحوالنا تتم السعادة .

ومن صلاح البال أن لا تستيقظ في الصباح على حُبِّ الدُّنْيَا لَأَنَّ فِيهَا شَتَاتِ الْقَلْبِ وَشَتَاتِ الْعَمَلِ الصَّالِحِ.. فأول ما تفتح عينيك قل الحمد لله

..

الحمد لله ..

ثم فَكَّرْ بِالْدارِ الْآخِرَةِ وَتَفَكَّرْ فِي حِكْمَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي إِحْيَاءِ الرُّوحِ وَعَوْدَتِهَا إِلَى الْجَسَدِ بَعْدَ أَنْ تُوَفَّاهَا اللَّهُ لَيْلًا فِي نَوْمِهَا .

عَلِّمْ نَفْسَكَ أَنَّ الدُّنْيَا مَمْرٌ إِلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ هُمُومَهَا عَوَارِضُ زَائِلَةٌ وَأَنَّ الْآخِرَةَ هِيَ مَسْتَقَرُّ السَّعَادَةِ لِلنَّفُوسِ الصَّالِحَةِ الْمُؤْمِنَةِ .

عَلِّمْهَا مَعْنَى أَنَّ يَكُونُ اللَّهُ مَعَهَا ..

في الحديث الصحيح : «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَقُولُ: أَنَا مَعَ عَبْدِي مَا ذَكَرَنِي وَتَحَرَّكَتْ بِي شَفَاتِهِ».

يقول ابن القيم رحمه الله في كتاب الجواب الكافي :

" فمتى كان العبد بالله هانت عليه المشاق، وانقلبت المخاوف في حقه، فبالله يهون كل صعب، ويسهل كل عسير، ويقرب كل بعيد، وبالله تزول الهموم والغموم والأحزان، فلا هم مع الله، ولا غم ولا حزن إلا حيث يفوته العبد معنى هذه الباء، فيصير قلبه حينئذ كالحوت، إذا فارق الماء يثب وينقلب حتى يعود إليه " ا.هـ

ابتسم عند كل كذب مفترى عليك حين يختلقون عليك القصص
ويتهمونك بما ليس فيك ..

ليس لأجل الحسنات فقط بل لأنك لو قرأت كلام بعض البشر في الله
لقلت : الله أكبر .. تعالى الله عما يقولون علواً كبيراً ..

وقد وصف بعضهم الملائكة بأنهم إناث والله يقول لهم: (أشهدوا
خَلْقَهُمْ).

بل قالوا أشد من هذا ..

يقول الله تعالى :

(أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إَفْكِهَمْ لَيَقُولُونَ * وَآلِدَ اللّٰهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) .

فلم يَسَلَمْ نبيٌّ ولا مُرسلٌ ولا صديقٌ ومؤمنٌ من افتراءات الناس، فهل ستسلم أنت من ذلك؟!!

وغالباً ما تكون الافتراءات على الذين سلكوا طريق الاستقامة والصواب، وقد قيل :

لا تُرْمَى بالحجر إلا الشجرة المثمرة .

فالكثير من الناس لا يحبون الناجحين في حياتهم؛ لوجود الأنانية والحسد والبغض والحقد، لا يسرّهم رؤيتك ناجحاً ، ولا يجدون سوى سلاح الحسد والافتراء ليحاربوك به ..

ويُنسَب للشافعي :

ضَحَكْتُ فَقَالُوا أَلَا تَحْتَشِمُ؟

بَكَيْتُ فَقَالُوا أَلَا تَبْتَسِمُ؟

بَسَمْتُ فَقَالُوا يِرَانِي بِهَا

عَبَسْتُ فَقَالُوا بَدَا مَا كَتَمُ

صَمْتُ فَقَالُوا كَلِيلَ اللِّسَانِ

نَطَقْتُ فَقَالُوا كَثِيرَ الكَلَمِ

حلمتُ فقالوا صنيع الجبان

ولو كان مقتدرًا لانتقم

بسلتُ فقالوا لطيشٍ به

وما كان مجترناً لو حكم

لا بد أن تقود حياتك بنفسك، فلا تركز وتستسلم لكلام الناس، ولا تسمح لأحدٍ أن يرسم لك منهج حياتك، بل ارسمه بنفسك.. وقد قيل فيما مضى :

" مَنْ ظَنَّ أَنَّهُ يُرْضِي أَبَدًا، يَوْشِكُ أَنْ لَا يُرْضِي أَحَدًا " .

فأفعالك لن ترضي جميع الناس، فاكتفِ بالقليل ولا تنتظر منهم الكثير .

" لا أعرف قواعد النجاح ولكن أهم قاعدة للفشل السعي لإرضاء كل الناس .. " أنيس منصور

فأتبع سبباً

في كل يوم جمعة تقرأ سورة الكهف وتقرأ عبارة: (فأتبع سبباً)،
ومعناها :

"أنه أراد بلوغ المغرب فأتبع سبباً يوصله إليه حتى بلغه " .

مهما كان لدينا من قوة وتمكين، لابد من اتباع الأسباب الموصلة إلى
النجاح وجني ثماره .

ومع تمكين الله له في الأرض ما زال ذو القرنين يتبع الأسباب ويعمل
بها، فكيف بمن ليس له تمكين ولا قدرة على ضبط نفسه فضلاً عن
ضبط الآخرين حوله لينجح في تحقيق غاياته؟!!

حين يغيب أحدنا جميع السبل خلف جدار عظيم من الأعذار فهذه
مشكلة، لكن الأعظم منها :

إن الكثير منا لا يعترف بضعفه أو خطئه أو اعتدائه في الحدود..

فتجتمع الأعذار الواهية مع سوء الخلق وضعف الشخصية..

فهل لهذا المرض المزدوج المعقّد من علاج؟

فكل هذه الأعدار سببها الأول إهمال النفس وعدم تهذيبها لدرجة أننا نتركها تفعل بنا ما تريد، ثم نقول في أنفسنا دائماً: لماذا لا نتغيّر نحو الأفضل؟؟

فالذي لا يستطيع ضبط نفسه لا يمكنه أن يغيّر شيئاً ولو حاول مراراً،
وكم تكررت في الكتب عبارة :

(التغيير يبدأ من داخلك)

فهل تغيّر أحدٌ بتأثير هذه العبارة ؟

حين تسمع قول المؤذن: (حيّ على الفلاح) فأنت تعلم ماذا تردّد,
فقط عندما يقول حيّ على الصلاة , حيّ على الفلاح فأنت تقول :

(لا حول ولا قوة إلا بالله)

لأننا لا نقدر على عبادة ولا نصبر على ترك معصية إلا بحول الله
وقوته فهذه استعانة ..

وكذلك في نهاية الصلاة تردّد:

(اللهم أعني على ذكرك ...)

لأن الكثير منا يعتمد على نفسه في التغيير وينسى أن يطلب العون
بصدق من الله تعالى ..

وحتى في الأمراض النفسية لا بد من طلب التغيير في النفس أولاً
والاستعانة بالله على ذلك التغيير..

فإذا كنت تعاني من مشكلة الحساسية المفرطة أو كنت تعاني من
مشكلة الشك أو الغيرة المفرطة القائلة , أو كنتم تعانون من أي مشكلة
نفسية غيرت المجرى الصحيح للحياة الحقيقية فما عليكم إلا زرع
بذرة التغيير الجوهرية في نفوسكم وهي (الاستعانة بالله) ..

(استعن بالله ولا تعجز) كانت وصية النبي صلى الله عليه وسلم
الاستعانة بالله دائماً، فيقول:

(وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا
بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ وَاعْلَمْ أَنَّ الْأُمَّةَ لَوِ اجْتَمَعَتْ عَلَىٰ أَنْ يَنْفَعُوكَ
بِشَيْءٍ لَّمْ يَنْفَعُوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ قَدْ كَتَبَهُ اللَّهُ لَكَ) .

قال ابن القيم في مدارج السالكين:

" احرص على ما ينفعك، واستعن بالله، ولا تعجز".

فأمره بالحرص على الأسباب، والاستعانة بالمسبب، ونهاه عن
العجز، وهو نوعان: تقصير في الأسباب، وعدم الحرص عليها،
وتقصير في الاستعانة بالله وترك تجريدها، فالدين كله - ظاهره

وباطنه، شرائعه وحقائقه - تحت هذه الكلمات النبوية .. انتهى كلامه
رحمه الله .

والشاهد من هذا إذا كانت الأمة مجتمعة لتتفكك ولم تستطع ذلك فكيف
تفعل هذا بمفردك ؟

فمن بابِ أَوْلَى أنك لن تستطيع تغيير نفسك إلا بالاستعانة بالله عز
وجل، فلا تغترّ بعبارات منمّقة كُتِبَتْ على أغلفة الكتب فيما يخص
التغيير ..

" ثق بالله .. سيزهر الأمل من قلب اليأس "

جلال الدين الرومي

لِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذُلُّكَ خَيْرٌ ..

قال النبي صلى الله عليه وسلم :

(إن الله تعالى حيي ستير يحب الحياء والستر ..)

فلمست الثياب التي ترتدي

ولست الأسامي التي تحمل

ولست البلاد التي أنبتك

ولكنما أنت ما تفعل

إيليا أبو ماضي

ليس الستر باللباس فحسب وليس في جدران غرفتك المغلقة أو سيارتك المظلمة أو سقف بيتك وأبوابه بل في طاعتك للستير الذي يسترك في الليل والنهار، الذي لم يفضحك على كثرة ذنوبك رحمة من عنده ولطفاً، وكما أن الذنوب تزيل النعم فهي تزيل الستر، والستر الحقيقي هو النور الذي يلبسنا الله إياه، أما سمعت الدعاء كما في البخاري عن عبدالله بن عباس :

(اللهم اجعل في قلبي نوراً وفي بصري نوراً وفي سمعي نوراً
وعن يميني نوراً وعن يساري نوراً وفوقي نوراً وتحتي نوراً
وأمامي نوراً وخلفي نوراً واجعل لي نوراً).

فهذا النور هو الستر الذي نريده حتى حين قال : (اللهم اجعل في
قلبي نوراً) فهو يعني ستر القلب من الأفكار المنحرفة الضالة وأن
يتملئ بالإيمان الخالص والحكمة العظيمة .

وحين ذاق آدم عليه السلام الشجرة المحرمة عليه بدت سواته وزال
عنه النور الذي كان يغطي جسده، فالستر هو النور الذي نحتاجه
والطريق إليه يتمثل بالتقوى التي قال الله عنها: (لِبَاسُ التَّقْوَى ذُلُكُ
خَيْرٌ) .

فلما عصيا انهنك ذلك الستر فبدت لهما سواتهما، فالمعصية تُظهر
العورة الباطنة والظاهرة ..

يقول الشاعر :

إِنِّي كَأَنِّي أَرَى مَنْ لَا حَيَاءَ لَهُ ... وَلَا أَمَانَةَ وَسَطَ النَّاسِ عُرْيَانًا

فاللباس الباطن المتمثل بالتقوى يُجمل العبد ويستره، فإذا زال عنه هذا
اللباس انكشفت عورته الباطنة كما تنكشف عورته الظاهرة بنزع ما
يسترها.

وينبغي لك أيضاً ستر عورات الناس ليسترك الله بالنور، فكيف تطلب
الستر إذا كنت تهتك أعراض الناس بالنميمة والغيبة ونشر الفضائح
من خلال رسائلك في الإنترنت والمواقع الإلكترونية والتصوير ..
ففي الحديث الصحيح :

" مَنْ سَتَرَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ فِي الدُّنْيَا سَتَرَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ "

أما ينبغي لك أن تستر خلق الله لتتال الستر الحقيقي؟!!

وقد ذكر ابن حجر رحمه الله في الإصابة :

قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه :

**(لو أخذت سارقاً لأحببت أن يستره الله عزَّ وجلَّ، ولو أخذت شارباً،
لأحببت أن يستره الله عزَّ وجلَّ).**

فكيف بنا حين نتناقل مثل هذه الأخبار ونفضح الناس الذين سترهم الله
فننشر الفضائح ونتكلم في أعراض الناس , أما ينبغي لنا أن نتقي الله
في هذا الأمر..؟

أحلامنا لا تنتهي

الآمال كثيرة جداً وأحلام الناس لا تنتهي والدنيا قصيرة ومهما حققت لنا الحياة من أمنيات نبقى عطاشاً .

أغلب المشاهير يؤمّلون في الدنيا الكثير ويتحقق لهم الكثير من آمالهم، ككثرة المحبين والأتباع لفنّهم ، أو كثرة الندوات والحفلات التي تظهر نجاحهم وعظمتهم، وغير ذلك..

وكل هذا التوفيق هو جيّد إن كان في الخير..

لكن الذي يشتهر في الأمور غير الحسنة النافعة فإنه لا يحصد فيما فعله من نجاح دنيوي أي خير بعد موته ، بل يتمنى لو لم يفعل ذلك وتغلب عليه الحسرة والندامة.. فما هو الأمل العظيم الذي نكر في كلام الله عز وجل ؟

الأمل الوحيد الذي هو أفضل الآمال وأحسنها موجود في قوله تعالى في سورة الكهف :

(وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمْلاً) . فما هي

الباقيات الصالحات ؟

في تفسير ابن كثير رحمه الله أن ابن عباس قال :

" الباقيات الصالحات : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،
والله أكبر " .

فيهن سهولة في اللفظ وخفة على اللسان فتستطيع قولها في أغلب
الأوقات في عملك وحين تمشي وفي السوق وحتى المرأة في بيتها
ومطبخها تستطيع ترديدها بسهولة ويسر ..

فإن في ترديدها الأمل الحقيقي وصلاح البال وبركة الرزق وحلّ
مشكلات الحياة، وفيها الغنى والقوة ونقاء الفؤاد وذهاب الأحزان.

ومن الأعاجيب أن يعلم الناس فضلها ويؤمنوا بها ثم يعجزوا عن
ترديدها كما عجز الكثير منا عن قراءة كتاب الله العظيم .

وفي حياتنا نصادف الكثير من أصحاب الطباع النكدية أو المتعالية أو
ما يسميه الناس بـ (النفسية) فهؤلاء لا نستطيع تغييرهم بالأمر اليسير
فلا نتعب أنفسنا بالحديث إليهم ونكتفي بالمغادرة ..

" المتشائم رجل إذا خُيرَ بين شرَّين اختار الاثنين "

أوسكار وايلد

فمهما عاملتَهم بلطف وتآدب واهتمام فلن تجني منهم سوى الضيق والحرمان..

وما ذنبك الذي اقترفته لتكون ضحية مثل هذا النوع من الناس ؟

فإن كانت نفسه مريضة فليبحث عن دوائه بنفسه وأيعالجها من ذلك الغضب الداخلي فلسنا مسؤولين عن ذلك ويكفينا ما نعانيه من اضطهاد في داخلنا ومعاناة مع ظموحنا .

وإن تكلمنا عن التأثير فمن باب أولى أن نؤثر على أنفسنا لتكون أكثر عافية وارتياح في تعاملها مع الحياة، فهل سنشغل أنفسنا بمثل هذا الصنف الذي لا ينتج عنه إلا الفقر في المشاعر ؟

وكيف إذا كان من يحمل هذه الصفة البائسة (النكد) أحد الشريكين في الحياة الزوجية ؟

يا الله , الطف بنا ..

إذا كان أحد الطرفين نكديّ الطبع فإنّ هذه هي العقوبة الأقسى في الحياة الزوجية .

دعونا نتألم بأشياء أخرى ولا نتألم بهذه الحياة النكديّة .

يقول الرجل في نفسه :

لا أستطيع دخول البيت لأنني أشعر بالضيق كلما رأيت الباب الخارجي من بعيد لأنني أعاني من زوجتي النكدية التي لا يعجبها شيء ولا تسكت عن شيء ولا تتعافل ..

وتقول المرأة عن زوجها النكدي :

ليته لا يعود إلى البيت ..

ليته يظل نائماً طوال الوقت ..

وليته كان أبكماً ..

إنها تعاني كثيراً، فحين تتحضر وتتجهز له يحول بنكده الموقف الجميل إلى أسوأ مواقف الحياة فتتظر إلى فستانها الجميل الذي تجهزت به وتقول : ليته كان كفنأ ..

لقد سئمت حياتها ويئست من كل شيء ..

هكذا نعيش مع كل شخص نكدي..

والمصيبة حين يعتقد أنه على الحق وأن من حوله يسبحون في الخطأ والبطلان .

أفلا ينظر إلى أسلوبه السيئ الذي بسببه ابتعد عنه الناس؟!!

وأمثال هؤلاء ينبغي لنا أن نغلق عيوننا عن رؤيتهم ونتجاهلهم قدر المستطاع لسلامة قلوبنا ، ولن نتخلص منهم فأنت تراهم في كل مكان في الأسواق وفي الطرقات وفي مكان عملك وفي المدرسة والجامعة إنهم يتكاثرون يوماً بعد يوم وأخشى أن تمتلئ الدنيا بهم .

ومنهم بعض المثقفين فهل تصدق ذلك ؟

فإذا قرأ كتاباً ووجد فيه بعض الأخطاء أو بعض الدعم النفسي أو وجد أي ملاحظة فإنه يبحث عن الكاتب في صفحات الإنترنت أو يبحث عن رقم هاتفه، فإذا وجده لم ينبهه على خطئه بطريقة إيجابية مهذبة يستفيد منها الكاتب بل يتهجم عليه، وكأنّ الكاتب أحد الأنبياء المعصومين، ولم ذاك؟

اكتب انتقاداتك بأسلوب مؤدب ولا تنكّد على عباد الله حياتهم، وإن لم يعجبك كتاب أو مقال ولم يكن لديك انتقاد مؤدب فمن الأفضل والألطف أن لا تعلق؛ لأنك لا تؤذي كاتب المقال فقط بل تتسبب في إحباطه وإحباط قراء مقالاته .

كان القدماء إذا رأى أحدهم أمثال هؤلاء في مجلسه قال :

أرى في السماء غيوماً ..

كناية عن الثقل الذي يجده من هؤلاء الأشخاص ..

رسالة للمتذمرين :

" إذا كان لديك ما يكفي من الوقت للشكوى والتذمر من شيء، فلا بد أن لديك ما يكفي من الوقت لفعل شيء حياله ".

أنطوني دانجيلو

ثم إن بعض المتزوجين أو المتزوجات يسألون: كيف نتصرف مع هذا الشخص النكدي ونحن نعيش حياة زوجية؟؟..

أقول : لنسأل أنفسنا : ما فائدة فترة الخطبة السابقة للزواج ؟

ماذا يرى كل واحد من الطرفين من الآخر ؟

ولماذا بعض الناس يؤخر إعلان الزواج ؟

كل هذا لأننا نريد أن نصل إلى نقطة هامة وهي: هل الطرف الآخر مناسب لي حقاً ؟

المشكلة أن الكثير من الفتيات لا تدري أهو مناسب لها أم لا ؟

لماذا لا تبحتني في داخلك عن هذه الإجابة , لا تتورطي بقبول زوج لا يناسبك نفسياً لأن في ذلك نكد الحياة .

عيشي حياتك من غير زواج خير لك من زوج لا يناسبك نفسياً ، ولا أعني بعض العيوب الصغيرة التي يمكن إصلاحها ، وإنما أعني ما عظم منها.. فهل يمكن إصلاح عيب البخل مثلاً ؟ أو عيب الكذب ؟ أو عيب النكد والتشاوم ؟

إذا كنت متأكدة من وجود هذه العيوب في الطرف الآخر فلا تتورطي بقبول زوج هو للفشل أقرب .

وبعد النكد يأتينا الإهمال ..

يقول ليوناردو دافينشي :

" الحديد يصدأ من الإهمال ، المياه الراكدة تفقد نقاءها ، وتصبح متجمدة في الطقس البارد، و بالمثل يفعل الكسل إنه يستنزف قوة العقل " .

وأكثر ما تعانيه المرأة في حياتها الزوجية إهمالها من قبل الزوج ..

فإذا وقع الزواج فلا تحملي زوجك مسؤولية مشاعره تجاهك بل ركزي على معاملته إياك .

فلا تقولي له إنك لا تشعر بي ولا تحس بي، إنك مهمل، إنك كذا وكذا، فهذا لا يجدي نفعاً أبداً..

بل عليك أن تذكريه بواجباته ومسئوليّاته بنبرة لطيفة فتقولي له : إن السؤال عن زوجتك وعن حياتها وقضاء وقتها مسؤوليتك ، فالتفت لهذا قليلاً .

فهذا الكلام سطحيّ بعض الشيء ، لكن ما الحيلة إلى قلب رجل لا يهتم ؟ وما فائدة الحديث إليه ؟

إنها طبيعة بشرية والتغيير يكون من ذاته وليس بجهود منا فهذه الكلمات لا تؤثر في أمثال هؤلاء إن لم تكن لديهم إرادة ذاتية حقيقية للتغيير، فهل يجب علينا الدخول إلى قلوبهم ومحادثتهم فوسهم من الداخل ؟

لن نستطيع ذلك .. فلا تبحتي في الكتب التجارية عن دواء لهذه العلة بل هناك حلّ واحد في كتاب الله عز وجل فانتبهي إليه جيداً وتأمليه حتى آخره ففيه الحل وصلاح الحال لجميع الأزواج من الجنسين الذكر والأنثى :

ارفعوا أيديكم إلى خالق هذه النفوس وقولوا : يا ربّ غير زوجي / زوجتي للأفضل ..

يقول الله تعالى في سورة الفرقان: (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ) .

هذا هو الحل الوحيد، فالمؤمن يدعو الله دائماً أن يجعل حياته الزوجية تسير نحو الأفضل، فلا تستهيني بالدعاء .. وتستحضرني هنا قصة قرأتها كثيراً :

كان هناك رجلٌ يشكي من عقوق ولده فجاء إلى رجل صالح وسأله عن الحل فقال له: ماذا تقول حين ترى عقوق ولدك ؟

فأجاب : إنني أدعو الله أن لا يوقِّعه في حياته (أي يدعو على ولده)

فقال له الرجل الصالح : وكيف تريده أن يفلح في برك وأنت تدعو عليه بعدم التوفيق ؟

فلأسف كثيراً ما نسمع المرأة تدعو على زوجها وتتفنن في تأليف أدعية لا تخطر على البال ثم تقول إن زوجي لا يهتدي ..كيف يهتدي ؟ ربما صادف دعاؤك ساعة استجابة فبقي زوجك على حاله بل زاد في قسوته ..أما عن تلك الكتب التي تتحدث عن التغيير فكثيرٌ منها عبارة عن رصف حروف وتميق كلمات تحاول أن تختلس من محفظتك الأموال وقد تحقّرك قليلاً ولكنك حين تعود إلى الواقع تجده مختلفاً تماماً .

المشاعر الكريهة ..

" يمكن أن تألف كل المشاعر الكريهة ما عدا الملل , لم ألق من يمل الحديث عن الملل " . أحمد خالد توفيق

ويزداد تضائلاً المشاعر لدى المرأة مع ازدياد الإهمال من قبل الرجل وهنا تفقد الرونق الذي كانت ترتديه منذ أن ولدت .

فالمرأة تفقد رونقها وطبيعتها المرحية من جرّاء ما تشعر به من السامة والملل وكذلك الرجل البائس الملول حين يضطهده الملل , فنحن لا ندرك معنى ذلك , إن الملل يشعرونا بالكثير من المشاعر السلبية , فلماذا نلوم امرأة لم تجد ما يبده آلامها وينهي حقبة الملل الذي تعيشه , ولماذا نلوم الرجل الملول الذي حاول جاهداً أن يخرج من هذه الحقبة لكنه لم يستطع , إنها الحقبة الأشد إيداءً لنا , كالليلة السوداء , أو كالوحشة .

فلأن كل واحد منهما لم يجد ما يسعده في هذه الحياة ولأن مفهوم السعادة قاصر لدينا , لم نعلم أن الملول لا يسعده أي خبر أو نتيجة , لأنه باختصار لم يجد من ينتشل نفسه من مستنقع السامة واليأس , فتمضي حياته هكذا بلا فائدة وبلا ثمرة .

فنحن حين نكبر ليس بالضرورة أن نكون أكثر فهماً للحياة ، ويتبع ذلك لطريقتنا في فهم الحياة ، ولهذا نجد بعض الأفراد ممّن يصغرنا عمراً أكثر نجاحاً في حياته وأكثر إنتاجية ، وإذا ما نظرنا إلى طريقتة في العيش وجدناه يعمل الكثير مما لا نقوم به نحن ولم نفكر في القيام به مطلقاً .

ولو أننا تأملنا الحديث النبوي (وعن عمره فيما أفناه ..)

لفهمنا أنه ليس مجرد سؤال عن الأيام التي قضيناها وإنما هو أيضاً تحذيرٌ لنا لئلا نغترّ بالدنيا ولنحسن أعمالنا لئلا تضيع أعمارنا وتنقضي بلا فائدة تذكر ..

فالذي يؤمن بأنه محاسب على أيام عمره لن يستلذ بضياح الأوقات ولن يشعر بالملل الذي يشعر به الكثير من الغافلين ؛ لأنه لن يجد وقتاً للملل ، ومن هنا تكون النتيجة الرائعة والثمرة اللذيذة .

نحن لا نستطيع العيش بمفردنا وبالوقت نفسه فإن كثرة الاختلاط بالآخرين لا تحصد كبير فائدة ، فالذي يعزل نفسه لن يكون قريباً من الواقع ، والذي ينفق أغلب وقته ما بين اختلاط بالناس ونوم فهو بعيد عن نفسه أو ذاته ، وفي كلا هاتين الطريقتين شقاء ، والأصوب أن يكون هناك وقت لأنفسنا لنسأل عن طلباتها وغاياتها وطموحاتها .

نسألها عما يحزنها وعما يسعدها ، فإذا ما كنا قريبين جداً من أنفسنا
كنا أكثر سعادة وحينها لن نصاب بالملل ولن نستوحش حتى لو كنا
بمفردنا لأننا نقيم صداقة رائعة مع أنفسنا ..

لا تبتعد عن نفسك ولا تسأم من نفسك ولا تردّد عبارات اليأس فإن
نفسك الحساسة ستتأثر حتماً بما تقول..

وأما عن شعور الحسد الكريه ..

فلا تكاد تنعم بنعمةٍ إلا وجذتَ مَنْ يحسدك عليها ..

لأننا منذ زمنٍ بعيدٍ نريد أن نكونَ الأفضلَ على الإطلاق لكن بعضنا
تجاوز هذا الفكر ليُسلّم نفسه إلى الحسد , فلا يكاد يدع خلق الله إلا
ويحسدُهم على كل ميزةٍ ونعمةٍ ، فإن شئتَ أن تكونَ مميزاً فعليك أن
تكثر من الاستعاذة من شر حاسد إذا حسد لأن التميز يعرّض صاحبه
لقطيع الحاسدين الذين لا يؤمنون بقوله تعالى :

(لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ) الآية ..

ذكر القرطبيُّ في تفسيره لهذه الآية شرحاً جميلاً فقال :

" قد أغنيك بالقرآن عما في أيدي الناس، فإنه ليس منا من لم يتغن
بالقرآن، أي ليس منا من رأى أنه ليس يغنى بما عنده من القرآن
حتى يطمح بصره إلى زخارف الدنيا وعنده معارف المولى " ا.هـ

وهذا صحيح , كيف لقلوبنا أن تذوب بزخارف الدنيا ونحزن لما يملكه الناس أسفين على أنفسنا أنها لا تملك مثلهم , ولدينا القرآن والذكر الذي يغنينا عن التفكير للحظة بزخارف الدنيا ..

إذ إن مفهوم الحياة الحقيقي ليس في زخرفها ولا في خضرتها وهي القصيرة الفانية فهي مجرد مرحلة للوصول إلى الخلود الدائم ..

فالذي ينظر إلى ملك الناس ونعيمهم فيحسدهم وتضيق عينه عليهم ، لا يفهم معنى الإيمان ومعنى النعيم الحقيقي ، ولا يدرك قيمة كتاب الله فيضعه بين يديه ويستغني به عما سواه .

وقال يعقوب لابنه يوسف عليهما السلام :

(لا تقصص رؤياك ..)

" أي إن هذه البشارة العظيمة تدلّ على فضلك وعلوّ منزلتك في المستقبل فإياك أن تحكي لأحد هذه الرؤيا العظيمة .. "

خاف عليه من المشاعر الكريهة من الكيد والحقد والغیظ والحسد..

لأن الكثير من الناس لا يحبون لغيرهم الخير ويريدونه لأنفسهم فسلكوا طريق الشيطان الذي تكبر واستغلى لما رأى الله سبحانه يخلق آدم عليه السلام ويأمره بالسجود له ..

ولهذا فاحذر أشدّ الحذر أن تتحدث عن نجاحك لأبيّ كان ، فليس من المهم أن يعرف الناس أنك ناجح ، يكفي أن تكمل السير في طريقك الصحيح ، وإن كانت نيتك صادقة فلا تحتاج للظهور ولا إلى الشهرة لأنك قد فعلت ما بوسعك للوصول إلى الحياة الخالدة ..

وعليك أيضاً أن تحذر من الذين يكيدون لك ولكنهم يظهرون بصورة طيبة غالباً ، يحاولون نصحك فتنذوب أمام كلماتهم المعسولة ولا تدري ما يخبئون لك من المكائد ، فإن لم تكُ واثقاً من صاحب النصيحة فاحذر من الوقوع في كيدِه ..

فالحسدُ أخو الكيد والمكر فانتهبه جيداً ..

وإن كنتَ ترى في نفسك الحسد (أي إنك حسود) فاعلم أن ذلك من نقص الرضا عن نفسك ، فكما قلَّ شعورك بالرضا عن نفسك ازدادت رغبتك بتقليد الآخرين ورغبتك في أن تكون مثلهم لكن مع وجود الحقد .

لماذا لا نسعى لنكون مثل الآخرين مع محبتنا لهم أو أن نكون أفضل منهم مع المحبة لهم أيضاً ؟

إذا كان أحدهم قد تميّز عليك بشيء فعليك أن تجد ما تميّز به عليه ولكن من غير أحقاد ، أي إن كان هو فوّاحاً عطراً فكن أنت شادياً مترنماً وفي كلٍّ منهما خيرٌ عظيم ..

لا تكن كغيرك وكن بنفسك ..

" ثق بنفسك فكر لنفسك اعمل لنفسك تكلم لنفسك وكن نفسك ..
التقليد هو انتحار". مارفا كولتر

إن أصبح النَّاسُ مرضى بإرادتهم فلا يعني أن نتبعهم في ذلك ,
الطرق كثيرة وجلها يمكن سلكها..

كيف لي أن أذيب شخصيتي بمعمعة الآخرين وأتبعها آثاراً لا أدري
ما نهايتها ؟ وإن امتلأت قلوبهم بالحقد أو الحسد أو البغض والأنانية
فلماذا أكون مثلهم ؟؟.

فهل الكثرة تعني الحقيقة الحق ؟

قلتُ لأحدهم : إن الكثير لا يعني دائماً أنه الحق , كما أن كبر السن لا
يعني دائماً الحكمة.. فقد نلتقي بشابٍ فنجد لديه حكمة أكثر من حكمة
رجلٍ كبيرٍ طاعنٍ في السن ..

وكثرة الأتباع ليست دليلاً على أن المتبوع هو على الطريق
الصحيح، فلا تغتروا بكثرة الأتباع ، فكثير من الناس لديهم فضول

فهم يتجمعون على كل شيء يثير فضولهم ، فهل يعني هذا حبهم لذلك الشيء؟

وحين نسعى لزيادة الأتباع ونقلد بعضنا بعضاً ، لا بد من أن أتساءل حينها : أين شخصيتي ؟

وليس المراد أن أبتكر لنفسي شخصية تقوم على مخالفة الناس ، بل على الأقل أن لا أتبع الناس في كل ما يقولونه ويفعلونه وأسأل نفسي عن كل أمر يصادفني : هل هذا صحيح ؟

هل هذا هو الحق ؟

ولأن الكثير من الناس لا يفكرون بهذا الأمر ونبتت في قلوبهم شجرة التعصب وبعض الأشجار يصعب اقتلاعها ..

سُئِلَ أحدهم - وكان معروفاً بين الناس - : لماذا لا تستشهد بكلام المعاصرين من الكتاب ؟

فأجاب : لا أستشهد بكلامهم حتى لا أحسب عليهم ولا يحسبون عليّ ..

نحن لا نستشهد بكلام الأحياء لأننا لا نعلم على أي شاطئ ترسي سفنهم , لكن الأموات قد انتهت كتاباتهم وآراؤهم فبإمكاننا أن نميز الصحيح منها من الخاطئ .

إذا كان لا يرضيه إلا زوالها ؟

تقول أحلام مستغانمي :

" الناس تحسدك دائما على شيء لا يستحق الحسد، لأن متاعهم هو سقوط متاعك، حتى على الغربة يحسدونك عليها، كأنما التشرّد مكسب وعليك أن تدفع ضريبته نقداً وحقداً! "

ثم ماذا عن الذين يقولون لك دائماً لن ينجح هذا .. لا تفعل هذا فهو مضيعة للوقت .. استرح فلا فائدة من العمل .. على هذا النحو ... هؤلاء إما أن يكونوا متشائمين أو حاسدين ، وقد تكلمت عن الصنف الأول ودعوني أتكلم عن الصنف الثاني ..

الحاسد كما يقال عنه :

وكيف يداري المرء حاسد نعمةٍ

إذا كان لا يرضيه إلا زوالها ؟

وبالفعل كيف يمكن أن تتصرف مع الحسود إذا كان إرضائه يكمن في زوال نعمتك؟!

أن تكون فاشلاً بعد النجاح ..

أن لا توفق في حياتك ..

أن لا تكون غنياً أبداً ..

هذا ما يريده الحاسد ، فهل هناك عاقلٌ يضحي بالتوفيق والنجاح
لأجل حاسد ؟

لا أعتقد أن هناك من يفكر في إرضاء مثل هذا الشخص الذي لن
يرضى عنك مهما حاولت..

فلا الحاسد يرضى ولا النكدي يرضى ولا المتشائم يرضى ولا
المتكبر يرضى .

فلا سبيل لإرضاء هؤلاء وليس لدينا وقتٌ كافٍ للتجربة فلا تهتموا
بهم أبداً واتركوهم في غيظهم يتناطحون فلسنا مجبرين على إرضائهم
أو التحسس من كلماتهم وإضاعة أوقانتنا الثمينة لأجلهم .

وباختصار :

إنّ الشخص الذي لا يشعر بالرضا عن نفسه ويحسّ بالنقص لن يتردد
في سعيه ليأخذ مكان الآخرين حسداً وأنانية .

ما أكثر كتب السعادة وما أقل السعداء !!

ما أكثر الكتب التي تتحدث عن السعادة وما أقل السعداء ..

ما أكثر الحقائق المزيفة وما أكثر الكذب والخداع والاستهزاء بعقول الناس ..

فلو نظرت إلى حياة كاتب يتحدث في كتبه عن السعادة لوجدت حياته أكثر تعاسة من العامة بل إن لديه رغبات كثيرة تولدت من تفكيره العميق ولكن معظمها لم يتحقق .. فهل نطمح إلى هذه السعادة ؟

إننا لا ننظر إلى الحياة بشكل حقيقي واقعي ، دائماً نبحث بين طيات الكتب عن صفحات وكلمات تحرك قلوبنا ونستأنس بها ، أفبهذه الأفكار سنكون من السعداء ؟

حين أشتري شيئاً رغبتُ باقتنائه كثيراً فحتماً سأكون سعيداً لكنها سعادة مؤقتة ، وقد يصادفنا من يقول : لو كان لديّ مليوناً لكنت من السعداء .. ظناً منه أن المال يجلب السعادة .

ثم لماذا تبرّع الكثير من الأثرياء بأموالهم للجمعيات الخيرية إذا كانت هذه الأموال فعلاً تجلب لهم السعادة ، فهل من المعقول أن يعطي سعادته لغيره ؟!

لقد أيقنوا أنّ المال ليس هو سرّ السعادة الحقيقية ، وآمنوا بمقولة :

(حين تهبُ السعادة لغيرك يرزقك الله السعادة)

فالسعادة بيد الله وهي روحية وليست في أي أمر ماديّ آخر كما يظن بعض البشر ، فلا تعبثوا بنا أيها الكتاب وتدوّنوا كتباً ضخمة عن السعادة وأسبابها لأنها قد تبعث فينا اليأس أكثر ممّا كنا فيه .

إننا رغم بساطتنا لا نحب أن يعيثر بنا أحدٌ ببعض الكلمات الرنانة ، نحتاج كلاماً واقعياً جاداً، إنني لم أجد في الكتب التي تتحدث عن السعادة والتي أمضيت سنوات في قراءتها إلا التكرار والكلام السطحي البعيد عن الواقع، فاختصرتُ هذه الكتب جميعها في آية وحديث :

أما الآية : (مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنْثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً)

فالسعادة عمل وليست كلام ، أن تعمل عملاً صالحاً يبعث السرور الداخلي في أعماق فؤادك .

وأما الحديث : (مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمْ آمِنًا فِي سِرْبِهِ ، مُعَافَىٰ فِي جَسَدِهِ ، عِنْدَهُ قُوَّةٌ يَوْمَهُ ، فَكَأَنَّمَا حِيزَتْ لَهُ الدُّنْيَا) .

فاستمع بكلّ شيء أحله الله لك لكن لا تجعل السعادة مقرونة بالماديات ولتكن على يقين أن السعادة مرتبطة بالروح وسعادة الروح لا تكون إلا بالطاعة التي تولد الرضا .. انتهى

الحزن ومشاهد العذاب ..

" لا شيء يقرب بين الناس مثل العذاب المشترك " نجيب محفوظ

لا أدري لماذا أغمض عيني حين أرى مشهداً فيه عذاب , أو مواقف محرّجة تحصل للآخرين ، ولا أدري كيف يستطيع الكثير من الناس مشاهدة هذه الأشياء ويتألمون ويشعرون ويصابون بالإحراج ؟

فأنا لم أقل إنهم عديمو الإحساس لكن الذي أريد قوله هو : كيف يجرؤ أحدنا على رؤية مثل هذا ؟

هل نحن نتألم في داخلنا ونريد أن نرى عذاباً أكثر من عذابنا لنشعر ببعض الاطمئنان ؟

أم نود أن نستريح من الآمنا ولو للحظات ؟

أم نتألم لحال غيرنا وننسى الآمنا ؟ !

محال أن تنسى الآمك وتتبنى آلام غيرك وتشعر بها كصاحبها .

إنّ الذين يتألمون - أكثر مني ومنك - كثيرون جداً في هذه الحياة والقليل منا يدرك هذا ، لأننا نرى آلامنا في قمة الآلام وأحزاننا في ذروة الأحزان ولا نقتنع بأننا الأقل حزناً وألماً ..

وحبّ الألم أصبح موروثاً في غناء الناس وفي محادثاتهم وصورهم وكتاباتهم وحتى ألقابهم على صفحات التواصل ولا نكاد نجد من يتحدث عن الفرح والعافية والسعادة وما يتصل بها من ألفاظ، مع العلم أن هذا الذي يتحدث عن الحزن ويرهق نفسه به يسبح في نعم الله التي افتقدها الكثير من الناس إلا أنه لا يزال منكرّاً لهذه النعم أو متناسياً لها .

فهؤلاء الذين ينكرون النعم أو يتناسونها يجب أن نحزن عليهم لأنهم يعيشون في غفلة طال مداها..

نحزن عليهم أكثر من حزننا على أي شيء آخر ، وهذه الحال أشبهه بإغلاق عين المشنوق في الإعدام ، إذ كان الأولى أن توضع الشريطة السوداء على عيون الناس ولكنهم يغلقون عين المحكوم بالإعدام حتى لا يرى إيذاء الألم في عيون الناس ، فنظراتهم المشفقة ربما تكون أكثر قسوة من الإعدام نفسه ..

فالمراد من حديثنا هو أننا قد نرى أشياء ونتجاهل أخرى ، ولكن حين نرى أنّ آلامنا هي الأشدّ ونتجاهل آلام الناس يكون من باب أولى أن

نبكي على أنفسنا المنكرة للفروق , تلك الفروق التي نتجاهلها
ونغض أعيننا عنها ، فشتان بين من يبكي على شهوة لم يفضها وبين
من يبكي جائعاً وإلى جواره من يرمي الطعام من التُّخمة ..

نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ

إذا ما نسينا هذا الذكر العظيم وتناسينا كلام رب العالمين تنزل
العقوبة حينئذٍ بقوله تعالى : (نَسُوا اللَّهَ فَنَسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ) .

فتتبدل الأحاسيس وتضعف المشاعر الإيمانية وتسيطر المشاعر
القاسية السلبية على هذه النفس الضعيفة فتزداد سواداً على سواد حتى
ترهقها الغفلة فلا تعرف قدرها ولا تضبط حدودها .

فلا تستهن بالذِّكر لأنه مفتاح أبواب الحياة ومفتاح الرزق ومفتاح
الفوز في الدارين ، فالبركة تكمن في كلمات الذكر التي بها تُرزق
وبها تُوفق وبها نقضي حوائجنا ومتطلبات حياتنا .

فالذي يمضي يومه دون أن يقرأ الأذكار يصبح ميت القلب ، وموت
القلب أعظم من موت الجسد .. ففي الحديث الصحيح : (مَثَلُ الَّذِي
يَذْكُرُ رَبَّهُ وَالَّذِي لَا يَذْكُرُهُ كَمَثَلِ الْحَيِّ وَالْمَيْتِ) .

إذن فهناك فرق كبير بينهما ، فميت القلب معدوم البركة في حياته ولا يستطيع أن يحقق عملاً نافعاً وإن كان يمشي ويعمل ويأكل ويتزوج لكنه ميت في الحقيقة ، لأنه غفل عن ذكر ربه الذي خلقه بأحسن صورة .

ميتٌ وإن استمتع في لهوه ..

ميتٌ وإن لعبَ بالمال ..

ميتٌ وإن التفَّ الناسُ حولَهُ ..

أيقظ شعورك بالمحبة إن غفا ..

لولا الشعور الناس كانوا كالدمى

ولنا لقاء جديد بإذن الله ..

إبراهيم الشملان